

ميثاق الهجرة.. وأثره في تأسيس أعظم دولة

السنة
ومكانتها
من دين
رب العالمين



التوحيد

مسابقة
فضيلة الشيخ
محمد صفوت نور الدين رحمه الله

حرمة الدماء

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٥١٨ السنة الرابعة والأربعون - صفر ١٤١٣ هـ

الشمس جنبها

حكمة الله تتجلى في أقداره !!

الصراع بين الحق والباطل

الخلاف شر





خيرٌ عظيم كان سيعم جموع الأمة من الراغبين في الخير، حينما عرف النبي صلى الله عليه وسلم موعد ليلة القدر بالتحديد، فخرج ليبلغ المسلمين بهذا الموعد؛ ليحتشدوا في تلك الليلة إيماناً واحتساباً، لينالوا أجراً وثواباً، وبالطبع كان سيصلنا هذا الخير، فهي ليلة خير من ألف شهر، وكان الناس سيتفرغون لهذه الليلة، ويجلسون لها من المغرب حتى الفجر، فهي مهما طالت ليلة، ينال قائمها وحاضروها السعادة والمغفرة، في الدنيا والآخرة، لكن ما الذي حال دون معرفة الناس بهذه الليلة؟!؟

إنه أمر في غاية الدهشة والعجب، إنها مشاجرة بين رجلين اثنين، فقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقال إني أريت هذه الليلة في رمضان حتى تلاحى رجلان فرفعت. يا الله!! كل هذا الخير العظيم يفوت الأمة بسبب مشاجرة بين رجلين؟ فما الذي يفوت الأمة الآن من الخير بسبب قبح ما نرى؟! هذا يسبب، وهذا يلعن، وهذا يخاصم، وآخر يجادل، وهذا يسخر، وغيره يحرض، وهذا يطعن ويشكك، وغيره يسيء الظن ويتهم النيات، وأخيراً هذا يقتل، وآخر يقتل!! فمن من هذا المجموع سيقبل الله عذره، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً». وأخيراً: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

التحرير



فاعلم أنه لا إله إلا الله



صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق

التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧، فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير،

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام،

هاتف: ٢٣٩١٥٤٥٦-٢٣٩١٥٥٧٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي،

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

تقدم لنا خاوي كرتونة كاملة تحتوي على ٤٢ مجلداً
من مجلدات مجلة التوجيه ص ٤٢ سنة كاملة

مفاجأة
كبيرة



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ،
الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس ، المغرب
دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس ، قطر ٦
ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا
دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٠٣ جنيهًا بحوالة فورية باسم
مجلة التوحيد . على مكتب بريد مايدين .
مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس
مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان
ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٥٢ دولاراً أو ٠٠١ ريال سعودي
أو مايعادلها .

ترسل القيمة بسويقت أو بحوالة بنكية
أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع
القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة
حساب رقم /٩٥١٩١٠

في هذا العدد

- ٢ افتتاحية العدد: الرئيس العام
الصراع بين الحق والباطل؛
- ٦ الشيخ أسامة عبد الله خياط، إمام المسجد الحرم
- ٩ بيان لجمعية أنصار السنة
- ١٠ باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي
- ١٤ باب الاقتصاد الإسلامي: د. علي السالوس
- ١٧ باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق
- ٢١ درر البحار: علي حشيش
- ٢٣ حرمة الدماء: صلاح نجيب الدق
الحقوق المتعلقة بتركة الميت في الشريعة الإسلامية:
- ٢٨ المستشار: أحمد السيد علي إبراهيم
- ٣٢ حكمة الله تتجلى في أقداره: أحمد صلاح رضوان
- ٣٦ واحة التوحيد: علاء خضر
- ٣٨ دراسات شرعية: متولي البراجيلي
- ٤٢ تصحيح المفاهيم من خلال سورة الفاتحة: عاطف التاجوري
- ٤٥ باب التربية الإسلامية: د. أحمد فريد
نظرات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم:
- ٤٩ إعداد: جمال عبد الرحمن
- ٥٣ تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش
- ٥٧ قرآن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي
- ٦٣ باب الفقه: د. حمدي طه
- ٦٤ باب العقيدة: د. عبد الله شاکر
- ٦٨ دراسات قرآنية: مصطفى البصراي
- ٧١ باب الفتاوى

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة
للعالمين، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين. ويهدى،
فقد تحدثت في اللقاء الماضي عن أهمية ووجوب طاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأشارت إلى الوعيد الشديد
الواقع على من خالف أمره صلى الله عليه وسلم. وأواصل في
هذا اللقاء الحديث حول السنة ومكانتها من دين رب العالمين.
فأقول وبالله التوفيق:

(- السنة وحي من الله تعالى)

عصم الله عز وجل نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم عن
الضلال والغواية. وأخبر أن ما نطق به وحي منه سبحانه. قال
الله تعالى: «مَاعَلَّمَ سَابِقًا وَمَا كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّمَا
وَحْيٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِذْ نُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَقُولَ لِلنَّاسِ

فقد نضت عنه هذه الآيات الغوية والضلالة. ودلت على
ذلك بأن ما بلغه لأمته وحي أوحاه الله إليه. وعليه فهو لا
ينطق عن الهوى. صلوات الله وسلامه عليه.

قال الشوكاني- رحمه الله- في تفسيره للآيات: «أي: ما
يصدر نطقه عن الهوى لا بالقرآن ولا بغيره، وقال أبو عبيدة:
إن «عن» بمعنى الباء: أي بالهوى، قال قتادة: أي ما ينطق
بالقراءة عن هواه، «إن هو إلا وحي يوحى» أي ما هو الذي
ينطق به إلا وحي من الله يوحيه إليه وقوله: «يوحى» صفة
لوحى تفيد الاستمرار التجديدي وتفيد نفي المجاز: أن هو
وحي حقيقة لا مجرد التسمية». (فتح القدير ١٠٥/٥).

وقد أخبرنا الله في كتابه أنه أنزل على نبيه صلى الله
عليه وسلم السنة. كما أنزل الكتاب، وقرنها معا في آيات
كثيرة منها قوله تعالى: «وَأَنْزَلْنَا مِنْكَ لَهْدًا وَمَنْزُورًا
وَمِنْ كِتَابٍ وَالْحِكْمَةَ بِطَلْمُذِينَ وَأَنْزَلْنَا لَكَ الْقُرْآنَ لَعَلَّكَ
تَهْتَدُ» (البقرة: ٢٣١). وقال تعالى: «وَأَنْزَلْنَا لَكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمْنَاكَ مَا لَمْ يَكُن لَكَ مِنَ شَيْءٍ ذِكْرًا فَكُلِّمْ عِبَادَكَ

(النساء: ١١٣). والمراد بالحكمة هنا: السنة، لا غير. قال
الإمام الشافعي- رحمه الله-: «فذكر الله الكتاب، وهو القرآن،
وذكر الحكمة، فسمعنا من أرضي من أهل العلم بالقرآن يقول:
الحكمة: سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا يشبه ما
قاله- والله أعلم- لأن القرآن ذكر وأتبعته الحكمة، وذكر الله
منه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز- والله
أعلم- أن يقال: الحكمة هاهنا إلا سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم. وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله. وأن الله افترض
طاعة رسوله، وحثهم على الناس اتباع أمره. فلا يجوز أن يقال
لقول: فرض إلا لكتاب الله. ثم سنة رسوله صلى الله عليه
وسلم. كما وصفتنا من أن الله جعل الإيمان برسوله صلى الله
عليه وسلم مقرونا بالإيمان.. (الرسالة: ٧٨، ٧٩).

وقد أمرنا الله في كتابه اتباع ما أنزله سبحانه. وهذا يشمل
القرآن، والسنة معا. قال الله تعالى: «تَبِعُوا مَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ وَلَا
تَبْغُوا إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ» (الأعراف: ٣).



افتتاحية العدد

السنة

ومكانتها

من دين

رب العالمين

بقلم / الرئيس العام

د/ عبد الله شاكور الجنيدي

www.sonna_banha.com

القرآن الكريم هو الأصل
الأول للدين، والسنة هي
الأصل الثاني، وسنة
السنة مع القرآن ألفاً مبيحة
وشارحة لله تشمل مجملها
وتوضح شكله وتبين
مفاهيمه وتخصيصها.

للتنعم والفرور بالمال والجاه، ومنها؛ أنه جالس على أريكته، أي؛ سرير، وأراد بذلك؛ أصحاب الترفه والدعة للذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من مظانه، قال الشيخ محمد أبو شهبه رحمه الله؛ «وقد دل الحديث على معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، فقد ظهرت فنة في القديم والحديث تدعو إلى هذه الدعوة الخبيثة، وهي الاكتفاء بالقرآن عن الأحاديث، وغرضهم هدم نصف الدين، أو إن شئت فقل؛ تقويض الدين كله؛ لأنه إذا أهملت الأحاديث والسنن، فسيؤدي ذلك - ولا ريب - إلى استعجاب كثير - من القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد منه، وإذا أهملت الأحاديث واستعجم القرآن فقل؛ على الإسلام العناء». (دفاع عن السنة ص ١٠٥).

٢- لا يمكن فهم القرآن واتباعه إلا بالرجوع إلى السنة،

أنزل الله تعالى كتابه من عنده، وأسند بيان ما فيه للنبي صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى؛ «وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ رَسُولًا مِّنَّا نُبَيِّنُ لَكَ آيَاتِهِ وَيُحِيلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيَانَ كِتَابٍ إِلَىٰ أَمْرٍ غَيْرٍ مَّحْضُوظٍ، وَمِنْ هُنَا كَانَتْ جُهُودُ عُلَمَاءِ السَّنَةِ فِي تَدْوِينِهَا وَخِدْمَتِهَا وَتَمْيِيزِ صَحِيحِهَا مِنْ سَقِيمِهَا، وَكَانَ هَذَا فِي الْوَاقِعِ خِدْمَةً لِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ لِلآيَةِ السَّابِقَةِ؛ «وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» (النحل: ٤٤) يعني القرآن «لِتَبَيِّنَ لِلنَّاسِ

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره؛ «يعني الكتاب والسنة، قال الله تعالى؛ «وَمَا يَكْفُرُ لَكُمْ كِتَابٌ مِّنْهُ وَمَا تَكْفُرُ لَكُمْ كِتَابٌ مِّنْهُ وَمَا تَكْفُرُ لَكُمْ كِتَابٌ مِّنْهُ» (الحشر: ٧). (تفسير القرطبي ١٤٢/٤).

وقال ابن كثير؛ «أي؛ اقتضوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه». (تفسير ابن كثير ٢٧٧/٢).

وقال القاسمي رحمه الله؛ «خطاب منه تعالى لكافة المتكلمين بالأمر باتباع ما أنزل، وهو القرآن، والمراد «بما أنزل»؛ القرآن والسنة وقوفا مع عمومها، لقوله سبحانه؛ «وَمَا يُلْقِىَ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا مَوْجُودٌ» (النجم: ٤). (تفسير القاسمي ٢٦١٠/٧).

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر فيها أن الله تبارك وتعالى أتاه الكتاب والسنة، كما في حديث المقدم بن معد يكرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال؛ «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه... ألا يوشك رجل شبعان متكئاً على أريكته يقول؛ عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبوه، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقرؤه، فإن لم يقرؤه فله أن يعقبهم بمثل قرأه». (صحيح سنن أبي داود ٨٧٠/٣).

والحديث يدل على أن الله سبحانه وتعالى أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب والسنة معاً، وقد ذكر البيهقي رحمه الله وجهين للحديث أحدهما؛ أنه أوتي الكتاب وحيًا يتلى، وأوتي مثله من البيان، أي؛ أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص، وأن يزيد عليه، فيشرع ما ليس في الكتاب له ذكر، فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به كالمظهر المتلو من القرآن. (عون المعبود ٣٥٥/١٢).

وقال الخطابي رحمه الله؛ «يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس له ذكر في القرآن على ما ذهب إليه الخوارج والروافض من الفرق الضالة، فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي ضمنت بيان الكتاب فتحرروا وضلوا». (المرجع السابق نفس الجزء والصفحة).

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث فاعل ذلك بصفات تنطبق حقًا على هؤلاء المنكرين منها؛ أنه رجل شبعان، وهذا كناية عن البلادة وسوء الفهم الناشئ عن الشبع، أو عن الحماقة اللازمة

تلك كمال مساك منه الأمة
 من أمتك محمودة في تعظيم
 السنة والالتزام بها، وقد قال
 أحاديثهم إذا سمعت الرجل
 يطلع على الآثار ولا يتبعها أو
 يتكلم شيئاً من أخبار رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فاقبله
 على الإسلام فإنه رجل رقيق
 القلب والقرآن

الصيام لم تبين لنا ما المباح لنا فيه، ولا المحظور علينا فعله، ولم تذكر حكم الأكل والشرب ناسياً، وكذلك لم يذكر لنا في القرآن الأيام التي يستحب صيامها كيوم عرفة، وعاشوراء، والاثنين والخميس، كما ورد في السنة النهي عن صيام بعض الأيام كيوم الفطر والنحر، وما يقال في الصلاة والزكاة والصيام يقال في الحج، وفي كثير مما ورد الأمر به في القرآن، بل إن الحدود لا يمكن تطبيقها إلا بالسنة، قال الله تعالى: **«وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَغَيْرَ حَكِيمٍ»**، (المائدة: ٣٨)، لم تبين لنا الآية من أين تقطع اليد، وما المقدار الذي تقطع بسببه؟ وقد بينت السنة أن اليد تقطع في ربع دينار، كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً». وقد بؤب البخاري لهذا الحديث بقوله: **«باب قول الله تعالى: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» وفي كم يقطع؟ وقطع علي من الكف»** (فتح الباري ١٢/٩٦).

كما فسّر النبي صلى الله عليه وسلم آيات من القرآن الكريم، وكان لا يمكن فهمها أو تطبيقها إلا ببيانه صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: **«مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَدِدَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ تَصَدَّقْ»**، (البقرة: ١٩٦)، ولا يمكن لأحد أن يعرف قدر الصيام الوارد في الآية، أو الصدقة، أو المراد بالنسك، إلا عن طريق السنة، وقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن معقل قال: «جلست

ما نَزَّلَ إِلَيْهِمْ، أي، من ربهم لعلمك بمعنى ما أنزل الله وحرصك عليه واتباعك له، ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم، فتفصل لهم ما أجمل وتبين لهم ما أشكل- (تفسير ابن كثير ٧٧١/٢).

وقال البغوي رحمه الله: **«وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ»**، (النحل: ٤٤) أراد بالذكر الوحي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم مبيّناً للوحي، وبيان الكتاب يطلب من السنة، معالم التنزيل، (٧٠/٣). وقال الشيخ أبو بكر الجزائري- حفظه الله-: في هداية هذه الآية: «السنة لا غنى عنها، لأنها المبيّنة لمجمل القرآن والموضحة لمعانيه». (أيسر التفاسير ١٢١/٣).

وقال الدكتور محمد أبو شهبه- رحمه الله-: القرآن الكريم هو الأصل الأول للدين، والسنة هي الأصل الثاني، ومنزلة السنة من القرآن أنها مبيّنة وشارحة له، تفصل مجمله، وتوضح مشكله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه.. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبين تارة بالقول، وتارة بالفعل، وتارة بهما. (دفاع عن السنة ص ١١).

ومن هنا أقول: إن السنة متى ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي تشريع وهداية، وواجبة الاتباع بدلالة القرآن الكريم على ذلك. وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يرجعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما أشكل عليهم فهمه، ويستفتونه فيما يقع لهم من حوادث، وكان يبين لهم ما أشكل عليهم، ويوضح ما يحتاجون إليه، وهذه بعض الأمثلة الدالة على أنه لا يمكن فهم القرآن ولا تطبيقه إلا بالرجوع إلى السنة، قال الله تعالى: **«وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ»** (البقرة: ٤٣). وهنا أسأل منكري السنة: كيف نصلي ونطبق هذا الأمر؟

أقول: لا يمكن فهمه ولا تطبيقه إلا بالسنة، فهي التي أوضحت كيف نصلي، ومتى نصلي، وعدد ركعات كل صلاة، كما بينت الركوع والسجود والتشهد والقيام، وماذا نقول في كل موطن، كما بينت لنا السنة أحكام صلاة الجمعة والجنائز والاستسقاء والعديد وغير ذلك.

وكذلك الأمر في تطبيق الزكاة، وقد أوضحت السنة وقت الزكاة، ومقدار النصاب، ومتى تخرج؟ وممن تؤخذ؟ وأين تصرف؟ وكذا الأمر بالنسبة للصيام، وقد جاء الأمر به في القرآن، غير أن آيات

٣- موقف أهل السنة من عارض السنة

لقد كان لسلف هذه الأمة مواقف محمودية في تعظيم السنة والدفاع عنها، والنماذج على ذلك كثيرة أكتفي بذكر بعضها، قال الامام الشافعي رحمه الله: حدثني ابن أبي ذئب عن المقبري عن ابن شريح الكعبي أن النبي قال عام الفتح: "من قتل له قتيل فهو بخير النظرين؛ إن أحب أخذ العقل وإن أحب فله القود" قال أبو حنيفة: فقلت لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا يا أبا الجارث؟ فضرب صدري وصاح علي صياحا كثيرا وقال مني، وقال: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول تأخذ به!! نعم، أخذ به. وذلك الفرض علي وعلى من سمعه إن الله اختار محمدا من الناس فبهدهم به وعلى يديه واختار لهم ما اختار له وعلى لسانه فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين لا مخرج لمسلم من ذلك. قال: وما سكت حتى تمنيت أن يسكت. (الرسالة: ٤٥٠).

ومعنى داخرين: أذلاء صاغرين.

وقال الفضل بن زياد- صاحب الإمام أحمد بن حنبل- من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة. (طبقات الحنابلة ١٥/٢).

وقال الإمام البربهاري رحمه الله: "إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها أو ينكر شيئا من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتهما على الإسلام، فإنه رجل رديء المذهب والقول، ولا يطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على أصحابه؛ لأننا إنما عرفنا الله وعرفنا رسوله وعرفنا القرآن وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة بالآثار، فإن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن" (شرح السنة/٣٥).

وأختم هذا المقال بقول الصديق رضي الله عنه: "لست تاركاً شيئاً كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ".

قال ابن بطه رحمه الله عقب نقله لهذا القول: هذا يا إخواني الصديق الأكبر يتخوف على نفسه الزيغ إن هو خالف شيئاً من أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم -، فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبئهم ويأومره، ويتباهون بمخالفته، ويسخرون بسنته، تسأل الله العصمة من الزلل والنجاة من سوء العمل. (الإبانة ١/٢٤٦).

والحمد لله رب العالمين.

إلى كعب بن عجرة رضي الله عنه فسألته عن
أفندية، فقال نزلت في خاصة، وهي لكم عامة حملت
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر
على وجهي، فقال: ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى
أو ما كنت أرى الجهد بلغ بك ما أرى تجد شاة فقلت:
لا، فقال فصم ثلاثة أيام أو اطعم ستة مساكين
لكل مسكين نصف صاع.. (البخاري: ١٨١٦، ومسلم
١٢٠١).

كما فسر النبي صلى الله عليه وسلم الظلم الوارد
في قول الله تعالى: **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُتَسَدِّقُونَ**. (الأنعام: ٨٢). ومن المعلوم
أن الظلم أنواعه كثيرة، وفيها الصغير والكبير،
وهذه الآية لما نزلت شقت على أصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم فبين لهم المراد بالظلم، كما ورد في
البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال: لما نزلت: **وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**. (الأنعام: ٨٢)
قال أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فنزلت: **إِنَّكَ أَكْثَرُ
ظُلْمًا عَظِيمًا**. (لقمان: ١٣). (البخاري: ٤٦٢٩).

وقد ذكر الله في كتابه عدة الشهور، وعظم أربعة
منها وتم يخبرنا القرآن الكريم عنها، وعرفناها من
السنة، وقد جاء في حديث أبي بكر رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الزمان قد
استدار كهينته يوم خلق الله السموات والأرض؛
السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم: ثلاث
متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر
الذي بين جمادى وشعبان.. (البخاري: ٤٦٦٢).

الصراع بين الحق والباطل



الشيخ أسامة بن عبد الله خياط / أعداد

إمام وخطيب المسجد الحرام

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، لحمده - سبحانه - على نعمه العظام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام، وأشهد أن سيّدنا وتبينا محمداً عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه سيّد الأنام، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً دائمين ما تعاقبت الليالي والأيام.

حين أوضح - سبحانه - ضرورة الاختلاف وحتمة وقوعه بين عباد الله، (**وَلَوْ سَئَأْتَمَحْكَمٌ آمَنِينَ**) (النحل: ٩).

ومعناه - كما قال ابن جرير - رحمه الله -: «لو شاء ربك لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على ملة واحدة، ودين واحد، ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء، إلا من رحم ربك فأمن بالله وصدق رسوله؛ فإنهم لا يختلفون في توحيد الله وتصديق رسوله، وما جاءهم من عند الله، وعلى علمه الناقد فيهم قبل أن يخلقهم أنهم يكون فيهم المؤمن والكافر، والشقي والسعيد، على علمه هذا خلقهم» - اهـ.

وإن هذا الاختلاف - يا عباد الله - هو منشأ الصراع، به يتور، وله يتعاضد الخلق، ولاجله يختصمون.

وإذا كان الصراع أمراً حتمياً لا مناص منه، ولا سبيل إلى السلامة من غوائله، فإن على اللبيب القطن أن يحدد عدوه تحديداً دقيقاً، وأن يعرفه حق المعرفة؛ لنلا يغتر به فيتحذه صديقاً يمخضه خالص الود، ويفضي إليه بمكنون سره، ويظهره على دخيلة نفسه، فيكون بذلك قد سعى في الإعانة على نفسه، وتمكين عدوه منه.

ولقد حذر - سبحانه - عباده المؤمنين أن يتخذوا من عدوهم

أما بعد، فاتقوا الله - عباد الله - وراقبوه، واذكروا أنكم موقوفون عليه (**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**) (الشعراء: ٨٨، ٨٩).

عباد الله؛ يفضل كثير من الناس عن حقيقة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وتدلل عليها دلائل التاريخ وعبر الأيام، تلك هي: أن الصراع قديم في حياة الإنسان، وأنه لا مناص من وجود عدو له يناسبه العدا، ويتريص به الدوائر، ويسعى إلى بلوغ الغاية في التصريح عليه، أو استلاب نعمة يرى آثارها ظاهرة عليه، أو مجرد تعكير صفوه، أو الأرزاء عليه.

وهو واقع لم تخل منه حياة أنبياء الله ورسوله، وهم خيرة الخلق وصفوة المخلصين من عباد الله، فانظر كيف وقع عليهم من عداة قومهم الذين أعلنوا عليهم حرباً عواناً لا هوادة فيها، بلغت من الكيد والأذى والتكذيب ما لا نظير له.

إنها سنة من سنن الله في خلقه.

لا تتخلف ولا تتبدل، (**وَكَذَلِكَ**

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسَانِ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) (الأنعام: ١١٢).

وبذلك يعلم أنه لا مطمع لبشر في أن يسلم من عداوة عدو يكيد له، ويتريص به، ويتحين الفرص للنيل منه والقضاء عليه، وقد جاء بيان هذه الحقيقة في كتاب الله تعالى:

**إذا كان الصراع
أمراً حتماً لا مناص
منه، فعلمه اللبيب
الظن أن يحدد عدوه
تحديداً دقيقاً، وأن
يعرفه حق المعرفة
لنلا يغتر به فيتحذه
صديقاً.**

في قلبه، وبإغوائه له بألوان وضروب الغواية. كما فعل مع آدم - عليه السلام - حين زين له الأكل من الشجرة التي نهاه ربه عن الأكل منها. مما قص تعالى عليه خبره في قوله - عز أسفه - : **وَمَا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الشَّجَرَةَ تُكَلِّمُ رَبَّهُمْ وَأَنَّ الشَّجَرَةَ تَكُونُ مِنَ الْغَايِبِينَ (١٧) قَوْمًا لَهَا قَلْبَانِ يُشْفَى لَهَا مَا تَدْرِي عَنْهَا مِنْ شَيْءٍ وَهِيَ تَكُونُ لَكُمْ عَن عَيْنِنَا مِثْلَ نَسْتَأْذِنُ بَدَتِ الشَّجَرَةَ بَدَتِ لَنَا وَطَوَقًا يُصِصُّ عَلَىٰهَا مِنْ وَرْقِ الْمَنَّةِ وَنَادَيْتُمَا أَنْزَلْنَاهُ عَنْ بَيْتِكُمَا عَنْ بَيْتِكُمَا الشَّجَرَةَ وَأَقْبَلْ لَكُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ لَكُمَا عَدُوٌّ بَاطِنٌ (الأعراف: ١٩-٢٢).**

وبذا يستبين أن الناس في هذا منقسمون إلى فريقين: فريق يتولى الله ويحبه ويطيعه في أمره ونهيه، وفيما جاءت به عنه رسله. وفريق آخر يتولى الشيطان ويطيعه ويأتمر بأمره، الذي أوضحه ربنا - سبحانه - بقوله: **(إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالشُّرِّ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىٰ أَلْمَامَةِ لَا تَكْفُرُوا) (البقرة: ١٦٩).**

وأصحاب هذا الفريق الذي يتولى الشيطان ويطيعه هم الخارجون على منهج الله، الإحاديث عن صراطه المستقيم، ودينه القويم، المائلون عنه إلى اتباع السبل التي تفرقت بهم عن سبيله على اختلاف مشاربهم، وتنوع نحلهم ومذاهبهم. وتعدد فرقهم وأحزابهم، التي يجمع بينها جامع واحد، هو عامل الانحراف الأكبر، وزوجه وعماده. وهو الحيدة عن منهج أهل السنة والجماعة وطريق سلف الأمة، والمخالفة عنه إلى غيره من مناهج أهل البدع والأهواء. تلك المخالفة التي أورثت أهلها ضلالاً بعيداً، وأعقبت أصحابها إثمًا مبيئاً.

وكفى بمشاقة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه -، واتباع غير سبيل المؤمنين شؤماً ووبالاً وسوء منقلب، وقبح مأل. ومن يشاقق.. مصيرا. عباد الله: قال بعض أهل العلم - في بسط مدلول قوله - سبحانه

أولياء وأوصياء يكونون خواص لهم، يظهرهم على أسرارهم. وخفي أحوالهم: لأنهم لا يتوانون ولا يقصرون في السعي إلى كل ما فيه الشر والفساد والأضرار بالمؤمنين، فقال - عز من قائل -: **(يَتَّبِعُ الَّذِينَ مَنَاسِبًا وَلَا تَتَّبِعُوا بِطَانَةَ رَبِّكُمْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ جِبَالًا وَّدُومًا مَّا عَنِّي قَدْ بَدَتِ الْغَيْمَةُ مِنَ الْأَثْمَارِ وَمَا يُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ سَوِيلِينَ) (آل عمران: ١١٨).**

ولقد كان من من الله على بني آدم: أنه - سبحانه - لما خلق أباهم آدم ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته أبا ن له شخص عدوه، وحذره من طاعته واتباعه، وذلك هو إبليس الذي أمره الله بالسجود لآدم فأبى واستكبر حسداً وبغياً، **(فَلَمَّا بَقَدْتُمْ لِآدَمَ أَنْ سَجُدَ لِلرَّبِّ جَلَّ فَجَعَلْنَا مِنَ الْإِنسَانِ عَدُوًّا لَكَ وَابْتَدَأَ فَجَنَّدَكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَفَى) (طه: ١١٧).**

وكان من من الله أيضاً على عباده من ذرية آدم: أن بين لهم أن الشيطان عدوهم؛ ليأخذوا منه حذرهم، وليأمنوا مكرهم، ويحبطوا كيده، **(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ الْمُتَّبِعِينَ) (فاطر: ٦)، (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَلَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ رَبِّكُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ بَدَلًا) (الكهف: ٥٠).**

وكما يتعين على اللبيب معرفة عدوه حق المعرفة، فكذلك يجب عليه تصحيح النية في التصدي له ومقاومته، فلا يكون ذلك مجرد الغلبة، أو لإظهار القوة وشدة البأس، أو للحمية، أو للفضح والمباهاة؛ بل يكون مقصوده ومبتغاه: رضوان الله تعالى، وأن تكون كلمته - سبحانه - هي العليا.

ولما كان الشيطان يعلم أن فلاح الإنسان وصلاحه وسعادته في الحياة الدنيا ونجاته وفوزه بالنعيم المقيم عند ربه يوم القيامة، متوقف على اتباع ما جاءه من ربه بالبينات والهدى، وامتنال أمره واجتناب نهيه، كان حرصه شديداً وسعيه دانياً في صرفه عن طاعة ربه بتزيين المعصية

إذا كان الشيطان يعلم أن فلاح الإنسان وصلاحه وسعادته في الدنيا ونجاته في الآخرة تتوقف على اتباع ما جاءه من ربه بالبينات والهدى، كان حرصه شديداً وسعيه دانياً في صرفه عن طاعة ربه بتزيين المعصية في قلبه.

:- (يَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرُكَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ) (الأعراف: ٢٧) الآية: لا يدع الشيطان أمراً يحبه الله إلا زين للعبد مخالفته، ولا أمراً مكروهاً لله إلا زين له مقارفته، (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون).

والإنسان في صراع دائم في نفسه مع الشيطان، يقوم الإنسان يصلي فيأتي فيذكره من الدنيا ما لم يكن يذكر قبل الصلاة، فيصرفه عن صلاته ويشغله عنها، وقد وقع مثل هذا للصحابية - رضوان الله عليهم -؛ فقد أخرج الإمام مسلم بن الحجاج - رحمه الله - في «صحيحه» بسنده عن عثمان بن أبي العاص - رضي الله عنه - أنه أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا رسول الله! إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي يلبسها علي، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ذاك شيطان يُقال له «خنزب»، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثاً»، قال: فعلت فأذهب الله عني. وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه» بسنده عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون بالزرواح» وهي من المدينة على ستة وثلاثين ميلاً.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي التأذين أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول له: اذكر كذا، واذكر كذا، لما لم يكن يذكر من قبل، حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلى».

فمجال الصراع الأول الخطير الذي يحرص الشيطان على السيطرة عليه هو قلب المؤمن، فإذا ملكه ملك صاحبه، وسيرد وفق ما يريد، وجعله

ولياً من أوليائه، فإذا أتى العبد فإنه لا يزال يهاجمه ويداوره، ويهتبل منه لحظة ضعف وغفلة، ولكن المؤمن الحق لا يكاد الشيطان يلتم به في مثل هذه اللحظات، حتى تتداركه رحمة الله فيبصر، (لَنْ أَلْبِسَ ظَنَنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَكْوِينًا) (الأعراف: ٢٠١).

فهو طائف عارض يتجلى سريعاً، عندما يعود العبد إلى الله ومنهجه، أما إخوان الشياطين فإنهم غرقى في ضلالهم لا يجدون خلاصاً، وسيف المؤمن في محاربة الشيطان في مجال نفسه ودائرة قلبه - يا عباد الله - هو الالتجاء إلى الله، والاحتماء به، وكثرة ذكره.

فاتقوا الله - عباد الله -، وجاهدوا النفس والهوى والشيطان، ومن معه من أتباع وأعداء؛ تحفظوا بالغضران والرضوان، ونزول رفيع الجنان.

واذكروا على الدوام أن الله تعالى قد أمركم بالصلاة والسلام على خير الأنام، فقال في أصدق الحديث وأحسن الكلام: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦).

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة، أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر الأئمة والصحابية والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعننا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، ودمر أعداء الدين، وسائر الطغاة والمفسدين، وألف بين قلوب المسلمين، ووحد صفوفهم، وأصلح قاداتهم، واجمع كلمتهم على الحق يارب العالمين.

اللهم انصر دينك وكتابك، وسنة نبيك محمد - صلى الله عليه وسلم -، وعبادك المؤمنين المجاهدين الصادقين.

**مجال الصراع
الخطير الذي يحرص
الشيطان على
السيطرة عليه هو
قلب المؤمن، فإذا
ملكه ملك صاحبه،
وسيره وفق ما
يريد، وجعله ولياً
من أوليائه.**



جَمَاعَةُ أَنْصَارِ السَّنَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

بيان من جمعية أنصار السنة المحمدية

بخصوص ما أشيع من دعوات للخروج للأسلح أو غيره

إنه من منطلق الحرص على استقرار البلاد ومصالح العباد، وحرص الشريعة وحثها على ذلك، فإن جمعية أنصار السنة المحمدية تحذر من هذه الدعوات الهدامة والأفكار المشبوهة المخالفة لشرع الله، والتي تضر بمصالح العباد والبلاد، وتقوّض أركان الأمن. والجماعة تهيب بالمواطنين تحمل المسؤولية، كل في موقعه، والالتفاف حول قيادة البلاد، من أجل دفع الخطر عن الأمة، كما تحت الجميع على تقوى الله واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وهدانا وإياكم إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

قال مطرنا بفضل الله ورحمته. فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال بنوء كذا وكذا. فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب ((صحيح البخاري ٨٤٦)).

وهو الولي الذي يجب أن يتولاه عباده دون غيره، وهو سبحانه الحميد في كل الأحوال.

وهذه الآية كقوله تعالى: **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ تَتَّبِعُ سَعًا فَيَنْفِثُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُ السَّحَابَ كَثِفًا قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا وَيُخْرِجُ مِنَ ظُلُمَاتِهِ نَوَّارًا أَصَابَهُ مِنَ النَّارِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِذَا تُرِيتُمْ فِي السَّمَاءِ سُحُبًا مِثْلَ تَابُوتٍ فِيهَا كُتُبٌ مُبِينَةٌ أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا مِنَ السَّمَاءِ نَارًا فَتَبَيَّنُوا بِهَا أَلْأَرْضَ بِمَدْرَسَاتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لِنُجَى الَّذِينَ هُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (الروم: ٤٨-٥٠).

ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بينهما من دابة أي: ومن آياته الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته **خلق السماوات والأرض**، فالسماوات المرفوعة، والأرض الموضوعة، لا تقع السماء على الأرض، ولا تعيد الأرض بأهلها، **ذلك تقدير العزيز العليم** (يس: ٣٨)، كما قال تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يُبَيِّنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرَوْهَا وَلَيْنَ الرَّالِ لَأُنسِكُنَّهَا مِنْ تَحْتِ يَدَيْهِ إِنَّهُ كَانَ جَلِيلًا عَظِيمًا** (فاطر: ٤١).

وما بينهما من دابة من الملائكة، والجن، والإنس، والبهائم، والطيور، والحشرات، فهذه الخلائق المختلفة مظهر من مظاهر قدرة الله، قال تعالى: **وَلَقَدْ جَاءَ قَوْمًا نَذِيرًا مِنْ أَنْبِيَاءِ نَتَقْنَا عَلَيْهِمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا وَرَأَوُنَا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُنُوزَهُمْ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** (الأنبياء: ١٠١)، وقال تعالى: **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ تِينٍ**

عَنْ تِينٍ، وتينهم من تينى عن يمينهم من تينى عن اربع خلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير (النور: ٤٥).

وقوله تعالى: وهو على جمعهم إذا يشاء قدير، يعني: إن الله الذي خلق هذه الخلائق المختلفة، ويثبته في الأرض، سيجمعهم ليوم لا ريب فيه، وهو يوم القيامة، كما قال تعالى: **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ هُمْ أَغْنَىٰ عَنْ رَبِّهِمْ وَمَنْ اسْتَدْرَكَ مِنْهُ شَيْءٌ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَسْبَتٌ** (النساء: ٨٧)، وقال تعالى: **قُلْ إِنَّ الْأَوْلَىٰ لِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَاللَّذِينَ فِي الْأَرْحَامِ مِنَ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِللَّهِ الْوَارِثَةُ كُلُّهَا إِنَّهُ غَنِيٌّ بِلِقَاحِ الْحَبْلِ الْعَلِيِّ** (النساء: ٨).

الآثام سبب المصائب، وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعضو عن كثير، يقول تعالى: وما أصابكم أيها الناس من مصيبة في أنفسكم، أو أهليكم، أو أموالكم، أو أولادكم، فبسبب ما اكتسبتم من الآثام، كما قال علي رضي الله عنه: "ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة". وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها كانت إذا أصابها الصداع تضع يدها على رأسها وتقول: هذا بما كسبت يداي، وما يعضو الله عنه أكثر. (الدر المنثور ٣٥٥/٧).

وما أنتم بمعجزين في الأرض، يعني إذا أراد الله بكم سوءاً فلن تعجزوه، كما قال تعالى: **وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلِيٍّ** (الرعد: ١١).

وما لكم من دون الله من ولي، يتولاكم، ولا نصير، ينصركم ويدفع عنهم ما أراد الله بكم، كما قال الله تعالى لتبنيه صلى الله عليه وسلم: **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّوْا يَتَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِشَيْءٍ حَقًّا فَلْيَسِّرْ لَكُمْ أَسْبَابَ الْعُسْرَىٰ وَارْتَدَّ وَجْهُكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ أَلَمْ تُدْرِكُوا الْبَاطِلَ الَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لِي وَلِيٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ** (البقرة: ١٢٧).

برحمته قل من منكم منسكك (الزمر: ٣٨)، وقال مؤمن آل يس لقومه: **وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ أَبَدَىٰ نَاطِقًا** (الزمر: ١٦).

والله ترجعون (١٦)، **والله لا اله الا هو** (١٧)، **والله لا اله الا هو** (١٨)، **والله لا اله الا هو** (١٩)، **والله لا اله الا هو** (٢٠)، **والله لا اله الا هو** (٢١)، **والله لا اله الا هو** (٢٢)، **والله لا اله الا هو** (٢٣)، **والله لا اله الا هو** (٢٤)، **والله لا اله الا هو** (٢٥)، **والله لا اله الا هو** (٢٦)، **والله لا اله الا هو** (٢٧)، **والله لا اله الا هو** (٢٨)، **والله لا اله الا هو** (٢٩)، **والله لا اله الا هو** (٣٠).

ومن آياته الجوارح في البحر كالأعلام، أي ومن آياته الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته، وإحاطته بكل شيء علماً، الجوارح جمع جارية، وهي السفينة، كما قال تعالى: **وَإِنَّا لَنَافِثُهَا كَالْأَعْلَامِ** (١١)، كالأعلام، جمع علم، وهو الجبل، ترى السفينة في البحر أدواراً، تحمل آلاف الأطنان من الأدميين وأمتعتهم، تسير فوق الماء برحمة الله، ولو شاء الله لجبسها عن السير، كما قال: **إِن يَشَاءُ يُسَكِّنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَهَا فَتَجَمُّعُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**، أي للمؤمنين، فالإيمان نصفه صبر، ونصفه شكر، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: ((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر إلا للمؤمن، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)). (صحيح مسلم: ٢٩٩٩).

وانما خص الله المؤمنين بالآيات لأنهم الذين ينتفعون بها، أما غيرهم فهم كما قال تعالى: **مَنْ قَرَّبَ لَا يَقْتَرِبُهَا وَبِئْسَ الْأَثَرُ لَا يَصِيرُونَ** (الأنبياء: ١٠١)، **مَنْ قَرَّبَ لَا يَقْتَرِبُهَا وَبِئْسَ الْأَثَرُ لَا يَصِيرُونَ** (الأنبياء: ١٠١).

مَنْ التَّغْلُوبِ ، (الأعراف: ١٧٩) .

«أَوْ يُوقَفَهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ» وَيُعَفُّ عَنْ كَثِيرٍ ، هَذَا تَهْدِيدٌ آخِرٌ يَقُولُ تَعَالَى: لَوْ شِئْنَا أَهْلَكْنَا السُّفْنَ وَمَنْ فِيهَا وَغَرَقْنَا هُمْ بِمَا كَسَبُوا ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلْمٍ لِّلْقَاسِدِ ، (فصلت: ٤٦) ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ مِنْ ذُنُوبِهِمْ ، فَلَا يِعَاقِبُهُمْ عَلَيْهَا ، رَحْمَةً مِنْهُ يَخْلُقُهَا ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَّا مَخَلْقَةٌ فَذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْغُلُقِ الْتَشْحُونِ ﴿١١﴾ وَنَخْلُقْنَاهُمْ أَزْوَاجًا ثَمَرًا ﴿١٢﴾ وَإِن تَأْتِيَنَّهُمْ بَلَغٌ مِّنْ لَّدُنَّا وَمَآءٌ لَّا يَشْرَبُونَ ﴿١٣﴾﴾ (يس: ٤١-٤٤) .

«وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ» ، وَيَعْلَمُ ، فَعَلَ مُضَارِعٌ مَنْصُوبٌ ، عَطْفًا عَلَى فَعَلَ مَنْصُوبٌ مَحذُوفٌ ، تَقْدِيرُهُ: أَوْ يُوقَفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ، وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مِنَ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ، أَي مِنْ مَلْجَأٍ يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلِذَلِكَ كَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَكَّبُوا فِي الْفُلِكِ دَعْوَى اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ، (العنكبوت: ٦٥) ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَنْجِيهِمْ مِنَ الْمَهَالِكِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ ، فَاعْلَمَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي يَدْعُوهُ فِي الْبَحْرِ هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَدْعُوهُ فِي الْبَرِّ ، لِأَنَّ نَوَاصِيَهُمْ بِيَدِهِ أَيْنَمَا كَانُوا ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبُّكُمْ إِلَهٌ يُرْسِي لَكُمْ الْفُلُوكَ فِي الْخَرِّ لِتَتَنَبَّأُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١١﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ السُّفُنُ فِي الْخَرِّ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِنَّمَا مَنَّا بِعَيْنِكَ إِلَى الْفَرِّ لَنُنَجِّكَ مِنَ الْإِنْسَانِ كُفْرًا ﴿١٢﴾﴾ لَقَدْ أَسْتَدْرَأْنَا بِحَيْفِ بَيْتِكُمْ مِنَ الْفَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَاكِيلًا ﴿١٣﴾﴾ أَسْتَدْرَأْنَا بِحَيْفِ بَيْتِكُمْ مِنْ الْفَرِّ لَنُنَجِّكَ مِنَ الْإِنْسَانِ كُفْرًا ﴿١٤﴾﴾ (سورة الأعراف: ١٧٩) .

كَرَّيْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَاكِيلًا بِمَا كَسَبْتُمْ ، (الإسراء: ٦٦-٦٩) .

صفات المؤمنين

كان الناس قبل الإسلام في جاهلية وشر، يأكلون الميتة، ويشربون الخمر، وينتهكون الأعراض، ويسلبون الأموال، ويقتلون النفس التي حرم الله بغير حق، وكانوا قبل ذلك وبعده يعبدون الأصنام والأوثان.

ومن ثم كانت البشرية في حاجة إلى قيادة راشدة، تنقذها من تلك الجاهلية العمياء التي كانت تخوض فيها، وتأخذ بيدها إلى العروة الوثقى، وتقود خطاها في الطريق الواصل إلى الله ربها ورب هذا الوجود جميعا.

ومن ثم أنزل الله الكتاب على عبده محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا عربيا، لينذر أم القرى ومن حولها، وشرع فيه ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى، ليصل بين حلقات الدعوة منذ فجر التاريخ، ويوحد نهجها وطريقها وغايتها، ويقيم بها الجماعة المسلمة التي تهيم وتقود، وتحقق في الأرض وجود هذه الدعوة كما أرادها الله، وفي الصورة التي يرتضيها.

وقد تضمنت هذه الآيات خصائص وصفات الجماعة المسلمة، المختارة لقيادة البشرية وإخراجها من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام، وهي صفات جديرة بالتأمل، لأنها الصفات التي يجب أن تقوم أولا، وأن تتحقق في الجماعة لكي تصبح بها صالحة للقيادة العملية. ومن ثم ينبغي أن نتدبرها طويلا. ما هي؟ ما حقيقتها؟ وما قيمتها في حياة البشرية جميعا؟

إنها الإيمان. والتوكل. واجتناب كبائر الإثم والفواحش.

والمغفرة عند الغضب. والاستجابة لله. وإقامة الصلاة. والشورى الشاملة. والإنفاق مما رزق الله. والانتصار من البغي. والعضو. والإصلاح. والصبر.

فما حقيقة هذه الصفات وما قيمتها؟ يحسن أن نبين هذا ونحن نستعرض الصفات في نسقها القرآني.

إنه يقف الناس أمام الميزان الإلهي الثابت لحقيقة القيم، القيم الزائلة، والقيم الباقية، كي لا يختلط الأمر في نفوسهم، فيختل كل شيء في تقديرهم. ويجعل هذا الميزان مقدمة لبيان صفة الجماعة المسلمة.

بيان صفة الجماعة المسلمة

الدار الآخرة خير من الأولى

فَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى:

إن في هذه الأرض متاعا جذابا براقا، وهناك أرزاق وأولاد، وشهوات ولذات، وجاه وسلطان، وهناك نعم آتاه الله لعباده في الأرض تملؤها منه وهبة خالصة، لا يعلقها بمعصية ولا طاعة في هذه الحياة الدنيا، وإن كان يبارك للطائع ولو في القليل، ويمحق البركة من العاصي ولو كان في يده الكثير.

ولكن هذا كله ليس قيمة ثابتة باقية، إنما هو متاع، متاع محدود الأجل، لا يرفع ولا يخفض، ولا يعد بذاته دليل كرامة عند الله أو مهانة، ولا يعتبر بذاته علامة رضا من الله أو غضب، إنما هو متاع، وما عند الله خير وأبقى، خير في ذاته، وأبقى في مدته. فمتاع الحياة الدنيا زهيد حين يقاس إلى ما عند الله، ومحدود حين يقاس إلى الفيض المنساب، ومتاع الحياة

الدنيا معدود الأيام، أقصى أمده للفرد عمر الفرد، وأقصى أمده للبشرية عمر هذه البشرية، وهو بالقياس إلى أيام الله ومضة عين أو تكاد.

قال الله تعالى: «زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (آل عمران: ١٤-١٥).

عن مسنود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه - وأشار بيحيى بالسبابة - في اليم فليتنظر به يرجع» (صحيح مسلم ٢٨٥٨).

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤوض سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها» (صحيح البخاري ٢٨٩٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قدم خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاعت ما بينهما وملاأته ريحا، ولنصفها -يعني الخمار- على رأسها خير من الدنيا وما فيها» (صحيح البخاري ٦٥٦٨).

ولعل السر في تقرير هذه الحقيقة قبل ذكر الصفات الواجب توفرها في الجماعة التي تعد للقيادة هو تربية هذه الجماعة على الزهد في الدنيا قبل أن يتولوا القيادة، لأن القيادة تمكن من الدنيا، وتمكن من المال، فإذا تولوا الزاهدون لم يغلوا، ولم يختلسوا، ولم ينهبوا، ولم يضيعوا المال العام الذي تقوم به الدولة، وتتحقق به مصالحها. وبعد تقرير هذه الحقيقة يأخذ في بيان صفات المؤمنين الذين يدخر الله لهم ما هو خير وأبقى.

ويبدأ بصفة الإيمان: «وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا، وقيمة الإيمان أنه معرفة بالحقيقة الأولى، التي لا تقوم في النفس البشرية معرفة صحيحة شيء في هذا الوجود إلا عن طريقها، فمن طريق الإيمان بالله ينشأ إدراك لحقيقة هذا الوجود، وأنه من صنع الله، وبعد إدراك هذه الحقيقة يستطيع الإنسان أن يتعامل مع الكون وهو يعرف طبيعته، كما يعرف قوانينه التي تحكمه، ومن ثم ينسق حركته هو مع حركة هذا الوجود الكبير، ولا ينحرف عن النواميس الكلية، فيسعد بهذا التناسق، ويمضي مع الوجود كله إلى باري الوجود في طاعة واستسلام وسلام. وهذه الصفة لازمة لكل إنسان، ولكنها ألزم ما تكون للجماعة التي تقود البشرية إلى باري الوجود.

وقيمة الإيمان كذلك الطمأنينة النفسية، والثقة بالطريق، وعدم الحيرة أو التردد، أو الخوف أو اليأس.

وهذه الصفات لازمة لكل إنسان في رحلته على هذا الكوكب، ولكنها ألزم ما تكون للقائد الذي يرتاد الطريق، ويقود البشرية في هذا الطريق.

وقيمة الإيمان التجرد من الهوى والغرض، والصالح الشخصي، وتحقيق المغنم، إذ يصبح القلب متعلقا بهدف أبعد من ذاته، ويحس أن ليس له من الأمر شيء، إنما هي دعوة الله، وهو فيها أجبر عند الله! وهذا الشعور ألزم ما يكون لمن توكل إليه مهمة القيادة كي لا يقنط إذا أعرض عنه القطيع الشارد، أو أؤدي في الدعوة، ولا يفتر إذا ما استجابت له الجماهير، أو دانت له الرقاب، فإنما هو أجبر.

ومن مقتضيات هذا الإيمان التوكل على الله، ولكن القرآن يفرد هذه الصفة بالذكر ويميزها: «وعلى ربهم يتوكلون، وهذا التقديم والتأخير في تركيب الجملة يفيد قصر التوكل على رب صفاته، ويستيقن أنه لا أحد في هذا الوجود يفعل شيئا إلا بمشيئته، وأنه لا شيء يقع في هذا الوجود إلا بإذنه، ومن ثم يقصر توكله عليه، ولا يتوجه في فعل ولا ترك لمن عداه.

وهذا الشعور ضروري لكل أحد، كي يقف رافع الرأس، لا يحني رأسه إلا لله، مطمئن القلب، لا يرجو ولا يرهب أحدا إلا الله، ثابت الجأش في الضراء، قدير في السراء، لا تستطيره نعماء ولا بأساء، ولكن ولكن هذا الشعور أشد ضرورة للقائد، الذي يحتمل تبعه ارتياد الطريق.

وللحديث بقية إن شاء الله عن صفات الجماعة المسلمة في العدد القادم إن شاء الله.

التمويل بالتورق

د. علي السالوس / إعداد

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ويشكره تزيد النعم، وله سبحانه الفضل والمنة، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين.

وبعد، فقد تحدثنا في الأعداد الأربع السابقة عن التمويل بالتورق، وناقشنا التورق عند الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وفي هذا العدد نتحدث - بعون الله تعالى - عن:

المبحث السادس: التورق المصري المنظم

انتشرت عمليات التورق في عصرنا بشكل غير مسبوق، وكان للفتوى التي أصدرها مجمع الفقه برابطة العالم الإسلامي في إباحة التورق دور كبير في هذا الانتشار، وعلى الأخص أنه نسب الإباحة لجمهور العلماء، لأن الأصل في البيوع الإباحة، وقرر أنه لم يظهر في هذا البيع ربا لا قصدا ولا صورة.

وبذلك وجدنا كثيرا من المسلمين لا

يتأثمون ولا يتحرجون عند التعامل بالتورق حتى في غير الحاجة فضلا عن الضرورة. والمؤتمر الذي أصدر القرار لم يحضره سوى تسعة فقط، ومنهم من عارض.

وفي المؤتمر الأخير، وهو السابع عشر، طلبت إعادة النظر في القرار، فجمهور العلماء يمتنعون التورق ولا يجيزونه، وذكر فضيلة الشيخ القرضاوي أنه حضر ذلك المؤتمر وعارض القرار، ويبدو أن الأبحاث التي قدمت

تأثرت بالموسوعة الكويتية. ثم فوجئنا ببعض البنوك الإسلامية، التي هي فروع لبنوك ربوية، تستند أساسا إلى هذه الفتوى، في تطبيق أداة تمويلية جديدة تعتمد على التورق، فما حقيقة هذا التمويل؟ وكيف يطبق؟

اطلعت على نشرة تعريفية أصدرها البنك الأهلي التجاري بالسعودية (الخدمات المصرفية الإسلامية)، ووصلني بحث عن تطبيقات التورق واستخداماته في العمل المصرفي الإسلامي للدكتور موسى آدم عيسى الذي يعمل بالإدارة التي أصدرت النشرة. ووجدت في البحث ما يفني عن النشرة تماما، ولذلك رأيت الاكتفاء بهذا البحث، والذي يعيننا منه هو بيان التطبيقات العملية للتورق من

خلال المصارف.

تحدث السيد الباحث عن ثلاثة نماذج يجري تطبيقها كليا من خلال الجهاز المصرفي، **النموذج الأول**، وهو التورق في مرابحات السلع الدولية مع المؤسسات المالية، وهذا النموذج الذي ذكره السيد الباحث لا يدخل ضمن التورق، فالمصارف الإسلامية تشتري نقدا، وتبيع بالأجل مع زيادة البيع الأجل عن البيع الحال. والمشتري من المصرف مؤسسة

التشريع صياغة التورق في
صورتها وشكل غير مسبق، وكان
التورق التي أصدرها مجمع الفقه
برابطة العالم الإسلامي في إباحة
التورق دور كبير في هذا الانتشار
وطبق الأمر على أنه نسب الإباحة
لجمهور العلماء، من أن حضر
القرار، ويبدو أن الأبحاث التي قدمت



وطلب الكمية المذكورة طبقاً لشروط الاتفاقية الموقعة بين الطرفين، ثم يتم تبادل الايجاب والقبول بين الطرفين بالفاكسات، والفرق الوحيد هو أن البنك يشتري البضاعة لنفسه ولا يوكل مؤسسة خارجية لتتولى عمليات البيع نيابة عنه. ولتحقيق مطلب القبض تصدر الشركة البائعة شهادة ملكية تضيد بقيد كميات المعدن المشتري من قبل البنك إلى حساب البنك وفقاً لتواريخ الشراء التي جرت.

وتتضمن هذه الشهادات إقراراً من قبل الشركة البائعة بأن ملكية المعدن المشتري للبنك هي للبنك منذ يوم الشراء، وأن كمية المعدن المشتري سيتم تعيينها عن طريق رقم الصنف للمعدن الذي

وقع عليه البيع وتحديد مكان وجوده. ويكون المعدن في حساب لصالح البنك إلى أن تتسلم الشركة تعليمات أخرى. ويكون البنك مسئولاً عن تسديد أجور التخزين والحراسة فيما إذا تأخر البنك عن التسليم في التاريخ المحدد.

ثانياً: بعد امتلاك البنك للسلع كما ذكر يبدأ البنك عندئذ التصرف في البضاعة ببيعها لعملائه، فيقوم البنك في هذه الحالة بإدخال كمية السلعة المشتراة على نظام

الحاسب الآلي بحيث تستطيع الفروع البيع منها للعملاء. ويتيح الحاسب الآلي بأن يتم إنقاص أي كمية يتم بيعها للعملاء من الرصيد الذي يمتلكه البنك من هذه السلعة.

أما عملية البيع فتتم وفقاً لإجراءات متسلسلة على النحو الآتي:
يتقدم العميل بطلب لشراء سلعة بالتقسيط، وعند قبول الطلب يتم إفادة العميل من قبل الموظف المختص بأن على العميل توقيع عقد البيع. كما يفاد العميل بأنه بتوقيعه على عقد البيع يكون قد امتلك كمية معينة من المعدن طبقاً للمواصفات المحددة في العقد ومكان وجوده، كما يفاد العميل

مالية تجارية، تريد من الشراء ربح التاجر لا خسارة المتورق، أو تريد السلعة إن كانت من مستهلكيها. وهذا بعيد عن التورق. ولذلك لا أتحدث عن هذا النموذج. ومن خبرتي مدة خمس عشرة سنة في أعمال المصارف الإسلامية، ومراجعتي لعمليات السلع والمعادن في أماكن تنفيذها في أوروبا خلال تلك السنوات، اكتشفت أن كثيراً من هذه العمليات تستوفي الشكل الظاهري فقط للضوابط الشرعية، وتكون في حقيقتها قروضاً ربوية وليست تورقاً، ولا بيعاً ولا شراءً.

ولقد نبهت لهذا، وألقيت بعض العمليات، وتقرر الخروج من هذه المنطقة الموبوءة تدريجياً، والبحث عن مجالات أخرى للاستثمار تكون بديلاً مناسباً. فهل يتم هذا؟

تتضمن صيغة التورق التي طورها
مجمع البنوك التي تشمل ما
دفع أساس قيام البنك بشراء
سلعة وإتلافها ثم بيعها للمعدن
والتسليم مع توفير الإمكانية
للمعدن لشراء البنك لإعادة بيع
السلعة نيابة عنهم وفيك شكراً
حسبكم

ثم تحدث السيد الباحث عن النموذج الثاني، وهو استخدام التورق في التمويل الشخصي، فقال: طورت بعض المصارف التورق وقدمته بأسماء مختلفة، مثل تيسير الأهلي الذي يقدمه البنك الأهلي التجاري كصيغة يتم استخدامها في تمويل الأفراد الراغبين في الحصول على السيولة النقدية.

وتقوم صيغة التورق التي طورها البنك الأهلي على

أساس قيام البنك بشراء سلعة وامتلاكها، ثم بيعها للعملاء بالتقسيط، مع توفير الإمكانية للعملاء لتوكيل البنك لإعادة بيع السلعة نيابة عنهم وقيد ثمنها في حساباتهم.

وفيما يلي تحليلاً للإجراءات التي تتم بها العملية، أولاً: يوقع البنك اتفاقية مع شركة معينة تسمى اتفاقية شراء سلع. وهذه الاتفاقية تمثل الإطار العام الذي ينظم العلاقة بين البنك باعتباره مشترياً وبين شركة معينة باعتبارها بائعاً.

وتتم عمليات الشراء عن طريق قيام البنك بطلب كمية معينة من سلعة محددة مثل الحديد أو الألومنيوم بمبلغ معين وذلك بالاتصال بالشركة



الذي يقدم التمويل للعميل (ينطبق على المصارف التي لديها نوافذ إسلامية) ففي هذه الحالة فإن المصرف سيقوم بقلب الدين الذي على العميل من قرض ربوي إلى دين آخري نشأ عن طريق التورق.

وهذه الصورة هي التي يسميها الفقهاء بقلب الدين على المدين.

ثم ذكر قرار الهيئة الشرعية للبنك الأهلي الذي أجاز هذه المعاملة أيضاً!!

هذا ما جاء في بحث الدكتور موسى آدم.

ثم اطلعت على بحث الدكتور عبد الله السعيد، ولا أريد أن أناقش بحثه، ولكن أريد أن أستفيد منه فيما ذكره نتيجة اطلاعه على عدة عقود للتمويل بالتورق، وهو ما لم يتيسر لي.

وما ذكره هو ما يأتي:

- ليس في العقد ما يعين السلعة بالرقم، وكل ما فيها هو تحديد النوع، والكم، والوصف.

- اشتراط تحميل العميل من ٧٠٠ إلى ٢٠٠٠ ريال، تختلف باختلاف البنك والمعاملة.

- بعض البنوك تدفع رسماً لمن يشتري منها في الخارج في حدود ١٠٠ دولار مقابل قيامه بشراء سلع المتورقين منها بسعر التكلفة.

- توكيل البنك للعميل في صورة من صور تورق الشركات بشراء السلعة نيابة عنه، ثم بيعها على نفسه.

- الربح مقارب لريح المريحة.

البنوك تستثمر في التورق من ٥ إلى ١٠ مليون دولار يومياً.

هذا بعض ما جاء في بحث الدكتور السعيد.

ولناقشة هذه التطبيقات فإننا نكمل في الحلقات التالية إن شاء الله تعالى.

بأن له حرية التصرف فيما اشتراه، فإن شاء تسلم المعدن، وأما إذا رغب في توكيل جهة أخرى لبيع المعدن نيابة عنه فله ذلك الحق أيضاً، وله إن شاء أن يوكل البنك في إعادة بيع السلعة نيابة عنه وقيدها بثمنها في حسابه، وذلك يتطلب منه أن يوقع على عقد وكالة يفوض البنك بموجبه القيام بذلك.

ثالثاً، بعد اكتمال عمليات البيع للعميل يتم رصد أسماء الأشخاص الذين اشتروا من البنك، كما يتم تحديد الكميات التي اشتراها كل واحد منهم، ويتولى البنك بيع تلك الكميات إلى طرف ثالث وذلك بموجب عقود الوكالة الموقعة من هؤلاء العملاء.

وتتم إجراءات البيع نيابة عن العملاء عن طريق توقيع اتفاقية شراء بين البنك وإحدى الشركات، وهذه الاتفاقية هي إطار عام ينظم العلاقة بين الطرفين، وتجري عملية البيع عن طريق تبادل الإيجاب والقبول عبر الفاكسات، حيث يتم تحديد الكميات المعروضة للبيع، والثمن، وشروط البيع.

وعند اكتمال تبادل الإيجاب والقبول وانعقاد البيع يتم تحويل الثمن إلى حساب البنك الذي يتولى فيما بعد قيده في حسابات العملاء لديه طبقاً لكميات وأسعار السلع التي تم بيعها نيابة عنهم، ويحيل البنك الشركة المشتريه منه لقبض المعدن من الشركة التي اشترى منها.

وبعد هذا ذكر السيد الباحث أن الخطوات والإجراءات المتبعة تستوي في الجوانب الشرعية من وجهة نظره، ثم ذكر قرار الهيئة الشرعية للبنك الذي أجاز منتج تيسير الأهلي.

ثم تحدث عن النموذج الثالث، وهو استخدام التورق لتمكين العملاء من تسديد مديونياتهم لدى المصارف التقليدية.

وقال: في حال كون تلك المديونيات هي للمصرف

عزاء

تتقدم جماعة أنصار السنة المحمدية وأسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص العزاء لفضيلة الشيخ أبي الحسن الماربي في وفاة والدته، سائلين الله عز وجل أن يغفر لها ويرحمها ويسكنها فسيح جناته، وأن يلهم أهلها الصبر والسلوان.

تذكير الأجد بحجية السنة



الحلقة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن وآله، وبعد؛ أحببتي في الله؛ لقد ناقشنا في العديدين السابقين حجية السنة النبوية المطهرة من خلال دراسة حديث العرياض تحقيقاً وشرحاً، وأكدنا صحة الحديث من خلال كلام أهل العلم، وناقشنا المنكرين لحجية السنة النبوية؛ من خلال إنكارهم للمفهوم الشرعي للسنة النبوية والملمزم بحجيتها، وفندنا شبهاتهم في ذلك، واليوم بحول الله وقوته نرد على ما يتيسر لنا الرد عليه من شبهات حول هذا المفهوم العقدي - أعني: مفهوم أن السنة حجة كالقرآن - والتي أثارها في هذه الأيام المتأخرة نابتة سوء سارت وراء أسلافها ممن طعن في السنة، قديماً، من الخوارج، والمعتزلة، والروافض، ومن جرى مجراهم من أهل البدع والأهواء والضلال فنقول مستعينين بالله:

د. مرزوق محمد مرزوق / إعداد

والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء" (مسلم: ٢٦٥٣). (أفاده الإمام الطبري في تفسيره ج ٧ ص ١٨٨) (وانظر: حجية السنة للدكتور عبد الغني عبد الخالق ص ٣٨٤، ٣٨٥). وعلى ذلك يقاس باقي كلامهم.

ثانياً؛ ولو افترضنا أن المقصود في الآية هو القرآن؛ فإننا نقول: لم يضطر ربنا عز وجل في كتابه في شيء من أمور الدين على سبيل الإجمال، ومن بين ما لم يضطر في بيانه وتفصيله إجمالاً بيان حجية السنة، ووجوب التحاكم إليها كما سيأتي بيانه. (ينظر: السنة بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبي: ١٨-٢٤).

٢- ومن شبهاتهم: عرض السنة على كتاب الله واعتمدوا في هذا على بعض الروايات التي تؤدي كلها إلى معنى واحد نذكر منها - على

١- شبهة الرد عليها

يقول المخالفون المنكرون لحجية السنة: نحن نكتفي بالقرآن ولا حاجة لنا بالسنة، ففي القرآن غنية وكفاية، فقد احتوى على كل شيء، واستدلوا بقوله تعالى: «مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (جزء من الآية ٣٨ من سورة الأنعام)، وما في معناها.

وللجواب على هذه الشبهة نقول:

أولاً؛ لا يسلم لهم بهذا التفسير الذي فسروا به هذه الآية.. فعلى سبيل المثال يرد علماء التفسير على فهم المخالفين لمثل هذه الآيات فيقولون في قوله تعالى: «مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»؛ إن المراد من الكتاب اللوح المحفوظ الذي حوى كل شيء على التفصيل التام كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات

فإن وافقه كان حديثاً، وإلا فلا، وهذا ما فعله العلماء، ثم قالوا: عرضنا حديث العرض على كتاب الله تعالى فوجدناه مكذوباً، فإننا لم نجد آية في كتاب الله تعالى تطلب منا عرض أقوال نبيه صلى الله عليه وسلم على القرآن، بل وجدنا عكس ذلك، وجدنا القرآن الكريم يطلب طاعة نبيه صلى الله عليه وسلم بصفة مطلقة وبشكل قاطع، وبدون هذا العرض المزعوم، كما في قوله تعالى: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (الحشر: ٧) (أفاده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ج ٢/١٩٠) نقلاً عن عبد الرحمن بن مهدي رحمهم الله جميعاً).

٢- ومن شبهاتهم عرض السنة النبوية على العقل

واعتمدوا في هذا أيضاً على روايات تؤدي كلها إلى معنى واحد نذكر منها - على سبيل المثال - ما نسبوه لأبي هريرة أنه قال: قال رسول الله: «إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكروته، قلته أو لم أقله، فصدقوا به، واني أقول ما يُعرف ولا يُنكر، وإذا حدثتم عني بحديث تنكرون لا تعرفونه، فكذبوا به، فاني لا أقول ما ينكر ولا يعرف، فما وافق عقول هؤلاء الناس: فهو من السنة حتى ولو لم يقله النبي فعلاً، وما خالف تلك العقول، فكذب ليس من سنة النبي، ولم يقله حتى ولو جاء متواتراً صحيحاً فالحجة عندهم في تلك العقول لا في السنة النبوية المطهرة.

وللجواب عن الحديث نقول:

١- هذا الحديث روي من طرق مختلفة كلها ضعيفة لا يصلح شيء منها، بل ولا بمجموعها للاحتجاج والاستشهاد، وفي بيان ذلك يقول الإمام البيهقي في مفتاح الرجنة في الاحتجاج بالسنة (ص ٣٩) قال ابن خزيمة: في صحة هذا الحديث مقال، لم نرى في شرق الأرض ولا غربها

سبيل المثال- زعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله...» فما وافق القرآن: فهو من السنة، وما زاد على القرآن: فهو ليس من السنة الجواب على هذه الشبهة:

١- لماذا خالف هؤلاء منهجهم واحتجوا بالحديث وهم لا يرون الاحتجاج به أصلاً؟ أهو رفض الحق لأجل جحوده فقط، كما قال تعالى: (وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ لَمَن لَّمْ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ مَرْصُورٌ أَوْ آتَاوْا أُمَّ يَخَافُونَ أَنْ يُخَيَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَسُولَهُ. بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (النور: ٤٩-٥٠). أم عدم فهم للأدلة؟

٢- وعلى فرض التنزل مع الخصم نقول: إن القاعدة تنص على أن الاحتجاج فرع للصحة لا العكس، فكيف يحتج بما لا يثبت؟ كما قرر ذلك الإمام الشافعي ونقله عنه الإمام البيهقي في دلائل النبوة (٢٧/١)، يقول الشافعي: «احتج على بعض من رد الأخبار بما روي أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه فلم أقله»، فقلت له: ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير، وإنما هي رواية منقطعة عن رجل مجهول، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء، ثم قال البيهقي معلقاً: أشار الإمام الشافعي إلى ما رواه خالد بن أبي

كريمة عن أبي جعفر فذكره، ثم قال البيهقي: خالد مجهول، وأبو جعفر ليس بصحابي فالحديث منقطع، ثم راح البيهقي يفصل طرق هذا الحديث فقال: وقد روي الحديث من أوجه أخر كلها فيها مقال.

٣- أما المتن فمعلول أيضاً، ويحمل الدليل على وضعه بين طياته، فإن حديثهم المزعوم بطلب عرض أقوال النبي صلى الله عليه وسلم على القرآن،

إن خطورة منكري السنة تكمن في أنهم لا يصارحون الناس بداية بأهدافهم، وإنما يندرجون شيئاً فشيئاً مظهرين للناس أنهم ناصحون حتى يصلوا إلى بفتينهم، لعلمهم أنهم لو صارحوا الناس بما يريدون لرددهم الناس.

(٣٣٩/٧)، فقد ناظر واحداً من هؤلاء ممن ردوا الأخبار بعقولهم ودحض لهم حججهم فلتراجع.

وختاماً:

لقد تجمع لدينا من الأدلة النقلية على حجية السنة ما ذكرنا بعضه في الحلقات السابقة، وما أفاض فيه فضيلة الرئيس العام في افتتاحية عدد المحرم ١٤٣٦هـ وصفه الذي بين أيدينا فليراجع منعاً للتكرار، وعليه فإننا نركز فيما بقي من سطور على الأدلة العقلية تنزلاً مع حال المنكر الذي لا يؤمن بالنقل، ويزعم أنه يفهم ويحكم بالعقل، وذلك من خلال طرح بعض الأسئلة على المنكر لحجية السنة وندع الجواب للسان العقل الذي يزعم:

١- قال تعالى في فريضة الصلاة: **«وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِمْ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الرَّسُولِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»** (النور: ٥٦).

وهنا نسأل كيف نقيم الصلاة؟ وما عددها؟ وما أوقاتها؟ وما هي تفاصيلها عموماً؟ وكيف يدخل فيها؟ وكيف يخرج منها؟

الجواب: إما الاكتفاء بما جاء في القرآن من إشارات إلى الصلاة وأهميتها، وأثرها في النفس دون أن نصلي، وإما أن نصلي بالصلاة التي علمنا إياها رسول الله في سنته المطهرة وهذا يحتم علينا الرجوع للسنة والأخذ بها.

وما قيل في الصلاة يقال في سائر الأحكام التي استقلت السنة ببيانها كالزكاة والصيام والحج ونحن نتساءل: هل لكم في معرفة سائر هذه العبادات سبيل آخر؟

٢- كما أن هناك حالات كثيرة نتساءل أيضاً عن حكمها عند من ينكر السنة، ومن أوضح هذه الأسئلة: هل يمكن للواحد منكم أن يتزوج المرأة على عمتها أو خالتها ويجمع بينهما وقد عرفتم أن الله أحل للرجل أن يتزوج مثني وثلاث ورباع؟!؟

أحدًا من علماء الحديث يثبت هذا عن أبي هريرة..“ ١هـ.

وفي علل ابن أبي حاتم ج ٢ ص ٣١٠ قال: قال أبي: هذا حديث منكر، الثقات لا يرفعونه (أي: لا يرفعون إسناده فوق المقبري). وقال العقيلي في الضعفاء ج ١ ص ٣٢: ليس له إسناده يصح، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (ج ١ ص ٢٥٧)، ثم يذكر لنا الإمام ابن حزم في الإحكام (ج ٢ ص ٢١٣) دليلاً عقلياً يشهد لبطلان الحديث؛ لما فيه من إباحة الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه حكى عنه أنه قال: **”قلته أو لم أقله فأنا قلته أي: فكيف لم يقله النبي ويأمر بتصديقه كأنه قاله“**.

٢- **قلت:** وعلى فرض صحة الخبر جدلاً، فلا سبيل إلى أن يفهم منه ما تدفعه القواطع، فمن المقطوع به، أن معارف الناس وعقولهم وآراءهم وأهواءهم تختلف اختلافاً شديداً، وبهذا يُعلم أن ما يعرض للسامع من قبول واستبشار، أو نفور واستنكار. قد يكون حيث ينبغي، وقد يكون حيث لا ينبغي، ثم إن الله جعل العقول في إدراكها حدًا تنتهي إليه لا تتعداه.

٣- **فائدة:** وهنا يرد سؤال لتتمة الرد على هذه الشبهة، وهو: أيهما الحاكم على الآخر النقل أم العقل؟
الجواب

من المقرر عند أهل العلم، وكذا من المعلوم من الدين بالضرورة، أنه لا حاكم على المكلفين سوى الله ولا حكم إلا ما حكم به الله، وقد قال تعالى: **«وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا يَقُولُ يُعْتَرُونَ»** (الآية ٥٠ من سورة المائدة)، وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة، (ولمزيد من التفصيل ينظر الإحكام للأمامي (٧٦/١)، وكتاب الأم للإمام الشافعي رحمه الله

إن منكري حجية السنة قد خالفوا الأدلة النقلية والعقلية وإجماع المسلمين ولولا خطر السموات المفتوحة عبر شاشات التليفزيون، وشبكة المعلومات لكانا أعرضنا عن هؤلاء ووفرنا أوقاتنا للأهم لأن البديهييات لا تحتاج إلى براهين.

الثاني: بيان المشكل وتفسيره لمن احتاج إلى ذلك، كما بين أن الظلم المذكور في قوله تعالى: ((ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)) (الأنعام: ٨٢). قال صلى الله عليه وسلم هو الشرك (البخاري ١ / ٢١).

الثالث: بيانه صلى الله عليه وسلم بفعله كما بين أوقات الصلاة للسانل بفعله.

الرابع: بيانه صلى الله عليه وسلم ما سئل عنه من الأحكام التي ليست في القرآن، فينزل القرآن ببياناتها، كما سئل عن قذف الزوجة فجاء القرآن باللعان ونظائره (مسلم: ج ٢ ص ١١٣٣).

الخامس: بيانه صلى الله عليه وسلم لما سئل عنه بالوحي أيضا لكن بما ليس قرآنا، كما سئل عن رجل أحرم في جبة بعدما تضحك بالخلق، فجاء الوحي بأن ينزع عنه الجبة ويزيل أثر الخلق (البخاري: ج ٢ ص ٥٥٧).

السادس: بيانه صلى الله عليه وسلم للأحكام بالسنة ابتداء من غير سؤال كما حرم عليهم المتعة (البخاري: ج ٥ ص ١٩٦٦).

السابع: بيانه صلى الله عليه وسلم للأمة جواز الشيء بفعله هو له، وعدم نهيهم عن التآسي به أو إقراره للصحابة على فعله وكذلك بيان إباحة الشيء بالسكوت عن تحريمه لأنه إن سكت عن تحريم الحرام فإنه لم يؤد الأمانة ولم يبلغ الرسالة وقد أدى وبلغ صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي.

الثامن: أن يحكم القرآن بشيء ويكون لذلك الحكم شروط وموانع وأوصاف، فيحيل ربنا تبارك وتعالى على رسوله في بيانه: كقوله تعالى: (وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَدَّاهُ ذَلِكُمْ) (النساء: ٢٤)، فالجل موقوف على شروط النكاح، وانتفاء موانعه، وحضور وقته، وأهلية المحل. فجاءت السنة ببيان ذلك كله وفي هذا القدر الكافية. وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم.

نقل الإمام ابن عبد البر عن الأوزاعي قوله: "الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب" وقال ابن عبد البر: "يريد أنها تقضي عليه - أي تفصل ما فيه - وتبين المراد منه".

سيقول بلسان الواثق: بالطبع لا، نقول له: فمن أين أتيت بهذا والقرآن لم ينص على هذا التحريم؟! وغير ذلك كثير من الأحكام مما لا يتسع المقام لسرده، ونحيل فيه على من توسع فيه من أهل العلم كالإمام ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله والإمام الشاطبي في الموافقات وغيرهم.

٣- إن لسان العقل يجيب على جميع ما سبق بما أجاب به أسلافنا رضي الله عنهم بقولهم: إنه يتحتم شرعاً وعقلاً أن يحتاج القرآن للسنة لتفصيل مجمله وتوضيح مشكله وتقييد مطلقه، أو تخصيص عامه كما أن السنة قد تستقل بكثير من الأحكام كما سبق الإشارة إلى ذلك.

وفي بيانه لذلك ينقل ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٩١/٢)، عن الأوزاعي قوله: "الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب". قال ابن عبد البر: "يريد أنها تقضي عليه - أي تفصل ما فيه - وتبين المراد منه". فلا يفهم من ذلك تقديم السنة على القرآن لذا لا نجد ختاماً أفضل مما قاله الإمام الطبري في تفسيره (ج ١/ص ٣٩) عند قوله تعالى: وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم: (بأن هناك مبيناً ومبيناً، ونحن الآن نتساءل أين المبين والمبين به؟ نحن لا نجد جواباً إلا أن نقول: السنة مبينة للقرآن.

فإن كان عندكم جواب غير هذا فلتظهِروه لنا وكذا ما قاله الإمام ابن القيم عليه رحمة الله في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين (٩٧/٤ - ١٠٤).

في تفسيره لنفس الآية ما مختصره: أن البيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول، متشعبة الفروع:

أحدها: بيان نفس الوحي الذي أوحى به الله تعالى بظهوره على لسانه صلى الله عليه وسلم بعد أن كان خفياً.

درر البحار في تحقيق ضيف الأحاديث القصار



علي حشيش

إعداد /

الحلقة (٢٨)

٢٧٤- « مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا لَهُ تَوْبَةٌ إِلَّا صَاحِبَ سُوءِ الْخُلُقِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتُوبُ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا عَادَ فِي شَرِّمَنَّهُ. »

الحديث لا يصح؛ أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (ح ٥٥٣) من حديث عائشة مرفوعاً، وفيه عمرو بن جميع، قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣/٢٥١/٦٣٤٥): «عمرو بن جميع كذبه ابن معين، وقال الدارقطني وجماعة: متروك، وقال ابن عدي يُتهم بالوضع، وقال البخاري: منكر الحديث». اهـ.

٢٧٥- « لَمَّا تَجَلَّى اللَّهُ لِلْجِبِلِّ طَارَتْ لِعَظْمَتِهِ سِتَّةٌ أَجْبِلٌ، فَوَقَعَتْ ثَلَاثٌ بِمَكَّةَ وَثَلَاثٌ بِالْمَدِينَةِ، فَوَقَعَ بِالْمَدِينَةِ: أَحَدٌ، وَوَرَقَانٌ، وَرُضْوَى، وَوَقَعَ بِمَكَّةَ: ثَبِيرٌ، وَحِرَاءٌ، وَثَوْرٌ. »

الحديث لا يصح؛ أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (ح ٨٩٣٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/٤٤٠، ٤٤١) من حديث أنس بن مالك مرفوعاً، وعلته: عبد العزيز بن عمران أبو ثابت المدني، قال الامام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٢٣): «منكر الحديث، لا يُكتب حديثه». وقال الامام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٣٩٣): «متروك الحديث»، وفي «سؤالات عثمان بن سعيد الدارمي» (٦٠٧) للإمام يحيى بن معين قال: «وسألته عن ابن أبي ثابت عبد العزيز بن عمران من ولد عبد الرحمن بن عوف ما حاله؟ فقال: ليس بثقة، وإنما كان صاحب شعر». اهـ.

٢٧٦- « جَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ، فَإِنَّ الْأَجْرَ فِي ذَلِكَ كَأَجْرِ الْمَجَاهِدَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ مَا مِنْ عَمَلٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جُوعٍ وَعَطَشٍ. »

الحديث لا أصل له؛ أورده الغزالي في «الإحياء» (٣/٧٨) مرفوعاً، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/٧٨): «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٢٧٧- « مَنْ دَاوَمَ عَلَى قِرَاءَةِ يَسِّ كُلِّ لَيْلَةٍ، ثُمَّ مَاتَ، مَاتَ شَهِيدًا. »

الحديث لا يصح؛ أخرجه الحافظ الطبراني في «الصغير» (٢/٨٨) وفي «المعجم الأوسط» (٨/١٢) (ح ٧٠١٤) عن أنس بن مالك مرفوعاً، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا معمر، ولا عن معمر إلا رباح، ولا عن رباح إلا سعيد بن موسى تفرد به ابن حفص». اهـ. وأخرجه الحافظ الخطيب في «التاريخ» (٣/٢٤٥/١٣٣٠) قال: حدثنا محمد بن

عبد الله بن شهريار الأصبهاني حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني به، وعلته سعيد بن موسى الأزدي الحمصي، قال الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٩٧/٧): «رواه الطبراني في الصغير وفيه سعيد بن موسى الأزدي وهو كذاب». قلت: ورواه أيضًا في الأوسط كما بينا وقال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣٢٨٠/١٥٩/٢): «اتهمه ابن حبان بالوضع»، ولقد بين ذلك ابن حبان في «المجروحين» (٣٢٢/١).

٢٧٨- «الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ، فَاعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا».

الحديث لا يصح: أورده الإمام الصاغاني في «الموضوعات» (ح ١٣) وقال: «موضوع».

٢٧٩- «إِنَّ اللَّهَ يَنْغُضُ ابْنَ السَّبْعِينَ فِي هَيْئَةِ ابْنِ عَشْرِينَ، فِي مَشِيَّتِهِ، وَمَنْظَرِهِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٦٦/٦) (ح ٥٧٧٨) من حديث أنس بن مالك، مرفوعًا قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد، تفرد به موسى بن محمد بن إبراهيم». اهـ.

قلت: فهذا الحديث «فرد مطلق» قال الحافظ السخاوي في «فتح المغيث» (٤/٤): «الفرد المطلق هو الحديث الذي لا يعرف إلا من طريق ذلك الصحابي، ولو تعددت الطرق إليه». اهـ. وعلته موسى بن محمد بن إبراهيم، قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٥٥٦): «منكر الحديث»، وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢٤١/٢): «ساقط الاحتجاج به». اهـ.

وعلة أخرى يحيى بن العلاء، قال أحمد بن حنبل: كذاب يضع الحديث. ذكره الحافظ الذهبي في «الميزان» (٩٥٩١/٣٩٧/٤).

٢٨٠- «إِنَّ هَؤُلَاءِ النَّوَاحِجَ يَجْعَلْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفِينَ فِي جَهَنَّمَ، صَفٌّ عَنْ يَمِينِهِمْ، وَصَفٌّ عَنْ يَسَارِهِمْ، فَيَنْبُخْنَ عَلَى أَهْلِ النَّارِ كَمَا يَنْبُخُ الْكَلَابُ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «الأوسط» (١١٠/٦) (ح ٥٢٢٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، قال الطبراني: «لم يروه عن يحيى بن أبي كثير إلا سليمان بن داود اليمامي». اهـ.

قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣٤٤٩/٢٠٢/٢): سليمان بن داود اليمامي أبو الجمل صاحب يحيى بن أبي كثير، قال ابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: «منكر الحديث»، وقد مر لنا أن البخاري قال: «من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل رواية حديثه». اهـ.

حرمة الدماء

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين ، وأتم علينا نعمته ، ورضى لنا الإسلام ديننا ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، الذي أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً .
في ظل الظروف التي تمر بها أمتنا ، وحرصاً منا على استتباب الأمن واستقرار البلاد ، يأتي هذا المقال ، والذي نتناول فيه حرمة الدماء ، ومنزلتها في الشريعة الإسلامية المطهرة ، وكيف صان الإسلام دماء المسلمين والمستأمنين ، وأهل الذمة والمعاهدين ، فنقول وبالله تعالى التوفيق ،

حرمة الدماء وصية رب العالمين :

(١) قال الله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ خَالِدًا فِيهَا وَهُنَّاسٌ اللَّهُ عَلَيْهِ وَالْعَمَلُ وَاعْتَدَ اللَّهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (النساء: ٩٣). قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): هذا تهديد شديد ووعد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مَضْرُوبٌ بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله. (تفسير ابن كثير ج٤ ص٤١٩).

(٢) وقال سبحانه: (مَنْ مَكَرَ نَفْسًا بِمِثْلِ نَفْسٍ أَوْ فَكَّرَ فِي الْأَرْضِ فَكْرًا مَاتَ قَتْلَ النَّاسِ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَتْ نَفْسًا كَيْفِيًّا) (المائدة: ٣٢). قال عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما): من قتل نبياً أو إماماً عدلاً فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن شدَّ عُضُدَ أَحَدٍ فَكَانَتْ أَحْيَا النَّاسِ جَمِيعًا. (تفسير الطبري ج١٠ ص٢٣٣).

وقال مجاهد (رحمه الله): مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُحَرَّمَةً

صلاح نجيب الدق

إعداد /

يضلُّ النار بقتلها كما يضلُّها لو قتل الناس جميعاً (ومن أحياها): أي من سلم من قتلها فكأنما سلم من قتل الناس جميعاً. (تفسير البغوي ج٣ ص٤٦٤).
قال الإمام ابن حجر الهيتمي (رحمه الله): جعل قتل النفس الواحدة كقتل جميع الناس مبالغة في تعظيم أمر القتل الظلم وتفضيماً لشأنه: أي كما أن قتل جميع الناس أمر عظيم الفبح عند كل أحد فكذلك قتل الواحد يجب أن يكون كذلك، فالمراد مشاركتهم في أصل الاستعظام لا في قدره. إذ تشبيه أحد النضيرين بالآخر لا يقتضي مساواتهما من كل الوجوه، وأيضاً فالناس لو علموا من إنسان أنه يريد قتلهم جدوا في دفعه وقتله، فكذا يلزمهم إذا علموا من إنسان أنه يريد قتل آخر ظلماً أن يجدوا في



دفعه، فمن قتل إنساناً ظلماً فكأنما قتل جميع الناس بهذا الاعتبار. (الزواجر لابن حجر الهيتمي ج٢ ص١٩٤).

(٣) وقال سبحانه: **وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ آلِي حَرَمِ اللَّهِ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ مِمَّا عَصَيْتُمْ بِهِ لَمَلَكُوا قَوْلُونَ** (الأنعام: ١٥١).

(٤) وقال سبحانه: **وَإِذَا التَّوْبَةُ شِئْتَ بِأَيِّ ذَنْبٍ فَبِئْسَ** (التكوير: ٨).

قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): الموعودة، هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسأل الموعودة على أي ذنب قتلت، ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا؟ (تفسير ابن كثير ج١ ص٢٦٣).

اجتناب الدماء العرمة من صفات عباد الرحمن

قال سبحانه عند الحديث عن صفات عباد الرحمن: **وَالَّذِينَ لَا يَشْرِكُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ أَنْفُسَ آلِي حَرَمِ اللَّهِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۗ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا سَابِقًا لِقَائِكَ يُدْخِلْهُ اللَّهُ فِي سَعَاتِهِمْ حَسْبَتْكَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** (الفرقان: ٦٨، ٧٠).

القصاص فيه حياة للناس

قال سبحانه: **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لِمَأْكَلِكُمْ يَتَّقُونَ** (البقرة: ١٧٩). قال أبو العالية: جعل الله القصاص حياة، فكم من رجل يريد أن يقتل، فتمنعه مخافة أن يقتل. (تفسير ابن كثير ج٢ ص١٦٦).

قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): يقول تعالى: وفي شرع القصاص لكم - وهو قتل القاتل - حكمة عظيمة لكم، وهي بقاء المهج وصونها؛ لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل فكف عن صنيعه، فكان في ذلك حياة النفوس. وفي الكتب المتقدمة: القتل أنفي للقتل. فجاءت هذه العبارة في القرآن أفصح، وأبلغ، وأوجز. (تفسير ابن كثير ج٢ ص١٦٦).

قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): قوله تعالى (يا أولي الأبواب لعلكم تتقون) يقول، يا أولي العقول والأفهام والنهى، لعلكم تنزجرون فتتكون محارم الله ومآثمه. والتقوى: اسم جامع لفضل الطاعات

وترك المنكرات. (تفسير ابن كثير ج٢ ص١٦٦).
عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة. (البخاري حديث: ٦٨٧٨، ومسلم حديث: ١٦٧٦).

قال الإمام ابن رجب الحنبلي (رحمه الله): هذه الثلاث خصال هي حق الإسلام التي يستباح بها دم من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. واقتل بكل واحدة من هذه الخصال الثلاث متفق عليه بين المسلمين. (جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص١٣٤).

تنفيذ أحكام القصاص: يقوم بتنفيذ أحكام القصاص الحاكم أو نائبه. ولا يجوز أن يقوم بذلك أحد من عامة المسلمين.

حرمة المسلم أعظم عند الله من حرمة الكعبة

روى الترمذي عن نافع، قال: نظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك. (حديث حسن صحيح، صحيح الترمذي للألباني حديث: ١٦٥٥).

الكعبة، هي بيت الله الحرام، لها شرف وقدر عظيم عند الله تعالى، ولكن المؤمن أعظم حرمة عند الله من الكعبة التي هي قبلة المسلمين.

نبينا صلى الله عليه وسلم يحذرنا من سفك الدماء بغير حق

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اجتنبوا السبع الموبقات (هي المهلكات)، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربوا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات. (البخاري حديث: ٢٧٦٦، ومسلم حديث: ٨٩).

(٢) عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لئن يزال المؤمن في فسحة من دينه (مطمئن النفس في سعة من رحمة الله)، ما لم يصب دماً حراماً.. (طلما أنه لم يقتل نفساً بغير حق) (البخاري حديث: ٦٨٦٢).

(٣) عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل

بعد ما قال لا إله إلا الله، قال: فما زال يكررها علي، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. (البخاري حديث: ٦٨٧٢، ومسلم حديث: ٩٦).

هذا الحديث يدل أعظم الدلالة على حرمة الدماء، فهذا رجل مشرك، وهم مجاهدون في ساحة القتال، لما ظفروا به وتمكنوا منه، نطق بالتوحيد، فتأول أسامة بن زيد، رضي الله عنه، قتله على أنه ما قالها إلا ليكفوا عن قتله، ولم يقبل النبي، صلى الله عليه وسلم، عذره وتأويله، وهذا من أعظم ما يدل على حرمة دماء المسلمين وعظيم جرم من يتعرض لها. (مجلة البحوث الإسلامية ج٦ ص٣٦٩).

(٩) عن أبي بكر رضي الله عنه، قال: خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر، قال: «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟»، قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع. (البخاري حديث: ١٧٤١، ومسلم حديث: ١٦٧٩).

التحذير من ترويع الأيمن:

(١) عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، قال: حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أنهم كانوا يسبون مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى جبل معه فأخذوه، ففزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يرويع مسلماً»، (حديث صحيح، صحيح أبي داود للألباني حديث: ٤١٨٤).

(٢) عن السائب بن يزيد، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لأعيا، ولا جادا». (حديث حسن، صحيح أبي داود للألباني حديث: ٤١٨٣).

قال الامام محمد أبدي رحمه الله: وجه النهي عن الأخذ جدا ظاهر لأنه سرقة، وأما النهي عن الأخذ لعبا فلأنه لا فائدة فيه بل قد يكون سببا لإذخال الغيظ والأذى على صاحب المتاع. (عون العبود ج١٣ ص٢٣٦). قلت: إن كان هذا فيما يخص الترويع بالثأ بالدماء؟

ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله (أمانه وضمائه) وذمة رسوله، فلا تخفروا الله (تقدروا به وتنقصوا عهده) في ذمته. (البخاري حديث: ٣٩١).

(٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقتل نفس ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها (نصيب من إثم قتلها)، لأنه أول من سن القتل» (البخاري حديث: ٣٣٣٥، ومسلم حديث: ١٦٧٧).

(٥) عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن أهل البهائم والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبههم الله في النار». (حديث صحيح، صحيح الترمذي للألباني حديث: ١١٢٨).

(٦) روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم». (حديث صحيح، صحيح الترمذي للألباني حديث: ١١٢٦).

(٧) عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل ذنب عسى الله أن يعفوه، إلا من مات مشركا، أو مؤمن قتل مؤمنا متعمدا». (حديث صحيح، صحيح أبي داود للألباني حديث: ٣٥٨٨).

قال العريزي (رحمه الله): قوله صلى الله عليه وسلم (أو مؤمن قتل مؤمنا متعمدا) هذا محمول على من استحل القتل أو على الزجر والتنفير. (عون العبود ج١١ ص٢٣٦).

(٨) عن أسامة بن زيد بن حارثة، رضي الله عنهما، قال: بعننا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة (قبيلة) من جهينة، قال: فصبحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، قال: فلما غشينا قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمح حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فقال لي: يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله، قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذا، قال: أقتلته



**وصية تبيّننا صلى الله عليه وسلم لأمته بعدم
الاقْتِسال فيما بينهم:**

روى الشيخان عن جرير بن عبد الله
الجلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال له في حجة الوداع: «استنصت الناس، اطلب
منهم أن يستمعوا لما أقوله لهم» فقال: «لا ترجعوا
بعدي كفاراً (تفعلون مثل فعل الكفار). يضرب
بعضكم رقاب بعض» (البخاري حديث: ١٢١،
ومسلم حديث: ٦٥).

وعن الصّنايح الأحمسي، قال: قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: «ألا إني فرطكم (أي متقدمكم
الذي يهين لكم ما تحتاجون إليه) على الحوض،
واني مكاثركم الأمم، فلا تقتتلن بعدي» (حديث
صحيح، صحيح ابن ماجه للالباني حديث: ٣١٨٧).
عن أبي بكره قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل
والمقتول في النار، فقلت يا رسول الله هذا القاتل
فما بال مقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل
صاحبه» (البخاري حديث: ٣١، ومسلم حديث:
٢٨٨٨).

قال الإمام النووي رحمه الله: أما كون القاتل
والمقتول من أهل النار فمحمول على من لا تأويل
له، ويكون قتالهما عصبية ونحوها ثم كونه في
النار معناه مستحق لها وقد يجازى بذلك وقد
يعفو الله تعالى عنه هذا مذهب أهل الحق. (مسلم
بشرح النووي ٩٧٩-٢٣٩).

حرمة دماء غير المسلمين من المعاهدين والمسلمين:

(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله
عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من
قتل معاهداً لم يرح (أي لم يشم) راحة الجنة،
وإن ربحها توجد من مسيرة أربعين عاماً. (البخاري
حديث ٣١٦٦).

قال الإمام ابن حجر العسقلاني: قوله صلى الله
عليه وسلم (من قتل معاهداً) المراد بالمعاهد: هو
من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو
هدنة من سلطان أو أمان من مسلم. (فتح الباري
لابن حجر العسقلاني ج ١٢ ص ٢٧١).

(٢) عن عمرو بن الحمق الخزاعي، رضي الله عنه،
قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«من أمن رجلاً على دمه، فقتله، فأنا بريء من
القاتل، وإن كان المقتول كافراً» (حديث صحيح،
صحيح الجامع للالباني حديث: ٦١٠٣).

معاهدة عمر بن الخطاب مع نصارى بيت المقدس:
عقد الخليفة الراشد، عمر بن الخطاب، رضي
الله عنه، معاهدة مع نصارى بيت المقدس، وكان
مما كتبه فيها (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا
ما أعطى عبد الله عمر، أمير المؤمنين، أهل إيلياء
(بيت المقدس) من الأمان. أعظاهم أماناً لأنفسهم
وأموالهم ولكنائسهم. (تاريخ ابن جرير الطبري ج
٢ ص ٤٤٩).

معاهدة عمرو بن العاص مع أهل مصر:

عقد عمرو بن العاص، رضي الله عنه، معاهدة مع
أهل مصر، وكان مما كتبه فيها (بسم الله الرحمن
الرحيم. هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر
من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم.
(تاريخ ابن جرير الطبري ج ٢ ص: ٥١٤).

مترلة القاتل القاتل عند إبليس:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: إذا أصبح إبليس بث
جنوده فيقول: من أضل اليوم مسلماً ألبسته التاج،
فيجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى عق والدته،
فقال: يوشك أن يبره، ويجيء أحدهم فيقول: لم
أزل به حتى طلق امرأته، فيقول: يوشك أن يتزوج،
ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى أشرك
فيقول: أنت أنت، ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به
حتى قتل، فيقول: أنت أنت ويلبس التاج. (حديث
صحيح، السلسلة الصحيحة للالباني حديث:
١٢٨٠).

وسائل اجتناب الجراحات والقتل الخطأ:

أرشدنا نبينا صلى الله عليه وسلم إلى وسائل كثيرة
لنتجنب إصابة الناس بأي نوع من الجراحات،
فضلاً عن التسبب في قتل الناس عن طريق الخطأ.
(١) عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه
وسلم، قال: «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح،
فإنه لا يدري، لعل الشيطان ينزغ (أي يرمي بها) في
يده، فيقع في حفرة من النار» (كناية عن وقوعه
في المعصية التي تدخله النار) (البخاري حديث:
٧٠٧٢، ومسلم حديث: ٢٦١٧).



وغيض الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً، فمعدناه؛ ليس يخلد فيها أبداً، بل الخلود هو المكث الطويل. وقد

تواردت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى ذرة من إيمان. (تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢١٠).

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وهو يتحدث عن خروج عصاة الموحدين من النار) يقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه (أي من النار). فيخرجون من عرفوا. (البخاري حديث: ٧٤٣٩).

الدماء هي أول شيء يقضى الله فيه بين الناس يوم القيامة

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أول ما يقضى بين الناس في الدماء» (البخاري حديث: ٦٨٦٤، ومسلم حديث: ١٦٧٨).

قال الإمام النووي رحمه الله: هذا الحديث فيه تغليب أمر الدماء وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة وهذا لعظم أمرها وكثير خطرهما. وليس هذا الحديث مخالفاً للحديث المشهور في السنن (أول ما يحاسب به العبد صلاته) لأن هذا الحديث الثاني فيما بين العبد وبين الله تعالى. وأما هذا الحديث فهو فيما بين العباد. (مسلم بشرح النووي ج ١ ص ١٨٢).

موقف القاتل الظالم يوم القيامة

عن عبد الله بن عباس، قال: سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: يأتي المقتول متعلقاً برأسه بإحدى يديه، متلبياً قاتله بيده الأخرى، تشجب أوداجه ذماً، حتى يأتي به العرش، فيقول المقتول لرب العالمين: هذا قتلني؟ فيقول الله للقاتل: تعست، ويذهب به إلى النار. (حديث صحيح، السلسلة الصحيحة للألباني حديث: ٢٦٩٧).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

(٢) عن أبي هريرة، يقول: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه. (مسلم حديث: ٢٦١٦).

قال الإمام النووي رحمه الله: هذا الحديث فيه تأكيد حرمة المسلم والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤديه.

وقوله صلى الله عليه وسلم (وإن كان أخاه لأبيه وأمه) مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد سواء من ينهم فيه ومن لا يتهم وسواء كان هذا هزلاً ولعباً أم لا لأن ترويع المسلم حرام بكل حال ولأنه قد يسبقه السلاح. (مسلم بشرح النووي ٤١٧ ص ٨).

(٣) عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على قوم يتعاطون سيفاً بينهم مسلولا، فقال: ألم أزرركم عن هذا ليغمده ثم يناوله أخاه. (حديث صحيح) (موارد الزمآن حديث: ١٨٥٤).

(٤) عن أبي موسى الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: إذا مر أحدكم في مسجدنا، أو في سوقنا، ومعه نبل، فليمسك على نصالها (النصل هو حديدة السهم) بكفه، أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء. (البخاري حديث: ٧٠٧٥، ومسلم حديث: ٢٦١٥).

توبة القاتل الظالم

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: الذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه عز وجل، فإن تاب وأناب وخشع وخضع، وعمل عملاً صالحاً، بدل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته. قال الله تعالى: **قُلْ يَمَٰدِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيَّ فَهَيِّئْ لَهُمْ لِيَعْلَمُوا مِن تَحْتِي ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** (الزمر: ٥٣)، وهذا عام في جميع الذنوب، من كفر وشرك، وشك ونفاق، وقتل وفسق، وغير ذلك: كل من تاب من أي ذلك تاب الله عليه. وثبت في الصحيحين قبول توبة الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس. فأما قوله تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،
ويعد:

فإن للمسلم حالتين، لكل منهما أحكامها، حالة
الحياة، وحالة الموت، قال تعالى: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ
وَالْحَيَاةَ يَسْأَلُكُمْ أَنتُمْ عَنْهَا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُوفُ» (الملك
٢)، ومما يتعلق بأحكام الموت: الحقوق المتعلقة
بتركة الميت، والتي ربما يجهل حكمها كثير من
المسلمين، فأحببت أن أضعها بين يديك أيها
القارئ الكريم لتنتفع بها:

الوقفة الأولى: تعريف التركة، والميت:

أولاً: تعريف التركة،

التركة لغة: مشتقة من الفعل الثلاثي: (تَرَكَ):
وهي ما يتركه الشخص ويبقيه.

والتركة اصطلاحاً: قال الشيخ أحمد الزامل في
"المدخل إلى علم الموارث في المذاهب الأربعة":
اختلف الفقهاء في تعريفها والتعريف المختار
لجمهور الفقهاء: هي ما يتركه الشخص بعد
موته من أموال وحقوق مالية، أو حقوق رجح
فيها العنصر المالي على الحق الشخصي. فكل
ما كان ثابتاً للميت من حق وله صلة بالمال فإنه
يورث، ويقال له في اصطلاح جمهور الفقهاء
«تركة».

وبناء على تعريف الجمهور نلاحظ أن الحقوق
التي تورث هي:

١- جميع أموال الميت سواء كانت مالا منقولاً، أم
عقارات تكون ميراثاً.

٢- الديون التي للميت على الآخرين تكون
ميراثاً.

٣- الدية التي وجبت بسبب الجناية عليه تكون
ميراثاً.

٤- الخيارات المتعلقة بالأموال؛ مثل: خيار العيب،
والشرط، والشفعة، والقصاص تكون ميراثاً.

٥- نصيب المورث من غلة الإيجارات تكون ميراثاً.

أما الحقوق التي لا تورث عند الجمهور فهي:

١- حق الولاية.

٢- حق الحضانة.

٣- عقد الوكالة.

لأن هذه الأمور لا تتعلق بالمال، وليست في معنى
المال، وتعتبر حقاً شخصياً للمورث.

أقسام ما يتركه الميت:



الحقوق المتعلقة

بتركة الميت

في الشريعة

الإسلامية

إعداد / المستشار / أحمد السيد على

ونحوه، أو نزع عضو منه، بمجرد رفع الآلة بل يبقين مفارقة الروح البدن عن جميع الأعضاء. والحكم في هذه الحالة من باب تبعض الأحكام وله نظائر في الشرع كثيرة. اهـ.

والوفاة الحكمية هي الحكم بوفاة المفقود، وقد عرف ابن قدامة المفقود في كتابه المغني بقوله: "من فقد فلا يعلم مكانه أو غاب عن أهله وانقطع خبره، فلا يعرفون حياته من موته. وهو بهذا المعنى يشمل كل من خرج من بيته ولم يعد، وانقطعت أخباره. أي في غيبة ظاهرها السلامة، أو ظاهرها عدم السلامة كما يشمل من فقد بين الصوف في المعركة، أو انكسرت به سفينة وغرق بعض أصحابه، ولا يعرف أهله هل غرق معهم أم لا". اهـ.

ودليل اعتبار المفقود ميتاً حكماً، ما رواه عبيد بن عمير رضي الله عنه قال: "فقد رجل في عهد عمر فجاءت امرأته إلى عمر فذكرت ذلك له فقال: انطلقني فتربصي أربع سنين، ففعلت ثم أتته، فقال: انطلقني فاعتدي أربعة أشهر وعشراً ففعلت، ثم أتته فقال: أين ولي هذا الرجل؟ فجاء وليه فقال: طلقها ففعل. فقال عمر انطلقني فتزوجي من شئت، فتزوجت، ثم جاء زوجها الأول، فقال له عمر: أين كنت فقال: استهوتني الشياطين فوالله ما أدري" (رواه الأثرم والجوزجاني وصححه الألباني). ومن ثم فلا يتصرف في تركة شخص إلا بعد ثبوت وفاته حقيقة، أو حكماً.

الوقف الثانية: الحقوق المتعلقة بالتركة:

إذا مات المرء تعلقت بتركته حقوق، هي: ١- تجهيز الميت. ٢- قضاء ديونه وقسموها الي ديون عينيه وديون مطلقة. ٣- تنفيذ وصاياه. ٤- توزيع الإرث على ورثته. (انظر في ذلك: نهاية المحتاج ٦ / ٣، العذب الفاضل ١ / ١٣، الشرح الكبير ٤ / ٥٧، حاشية ابن عابدين ٥ / ٤٦٣، ٤٨٣، وشرح السراجية ص ٤).

وقد اتفق العلماء على:

الأول: الحقوق الشخصية المحضة فإنها لا تورث باتفاق المذاهب، كحق الولاية على النفس والمال وحق الحضانة، وكذلك الديون على الميت، لا تورث وتتعلق فقط بالتركة. فإن فقدت التركة أو تجاوزت الديون قيمة التركة فالورثة غير مسئولين عن وفاء الدين ولا تنتقل إليهم، ويجوز أن يتبرعوا بسدادها، ولهم الأجر والثواب عند رب العالمين.

الثاني: النقود والأعيان المالية والحقوق العينية المتعلقة بالمال، فإنها تورث باتفاق المذاهب.

الثالث: المنافع والخيارات التي تتعلق بالشخص وإن كان محلها المال اختلف الفقهاء في حكمها، فالجمهور يعتبرها مالا وهي تركة، والحنفية قالوا بسقوطها بالموت وعدم انتقالها للورثة، فانما نفع عندهم ليست مالا.

ثانياً: تعريف الميت:

الميت لغة- الميت: بسكون الياء، هو من فارق الحياة، بخروج روحه من جسده، قال تعالى: **«أَوَمِنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّارِ»** (الأنعام ١٢٢)، والميت بالشدة مع الكسر هو الشخص الذي فيه روح. ولكن سيموت، قال تعالى **«إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»** (الزمر ٣٠).

الميت اصطلاحاً- قال الشيخ الدكتور بكر أبو زيد - رحمه الله - في بحثه القيم: (أجهزة الانعاش وحقيقة الوفاة بين الفقهاء والأطباء): (إن حقيقة الوفاة هي مفارقة الروح البدن. وإن حقيقة المفارقة خلوص الأعضاء كلها عن

الروح، بحيث لا يبقى جهاز من أجهزة البدن فيه صفة حياتية) اهـ.

وقد قرر الفقهاء أن من شروط الارث، وفاة المورث حقيقة أو حكماً، فالوفاة

الحقيقية هي: مفارقة الروح للجسد، وليست موت الدماغ مع بقاء التنفس ودقات القلب، قال الدكتور بكر أبو زيد في بحثه السابق الإشارة إليه: "لكن لا يحكم بالوفاة التي تترتب عليها الأحكام الشرعية كالتوارث

قرر الفقهاء أن من شروط الإرث، وفاة المورث حقيقة أو حكماً، فالوفاة الحقيقية هي مفارقة الروح للجسد، وليست موت الدماغ مع بقاء التنفس ودقات القلب.

الرأي الثاني: رأى الجمهور من الحنفية، والمالكية، والشافعية، تقديم الديون العينية على التجهيز.

الرأي الراجح عندنا:

هو قول الحنابلة، وذلك لقوة أدلتهم.

يتعلق بالتركة خمسة حقوق مرتبة بحسب أهميتها كالآتي:

بين ذلك الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فقال:

١- مؤن تجهيز الميت من ثمن ماء تفسيله وكفنه وحنوطه وأجرة الغاسل وحافر القبر ونحو ذلك لأن هذه الأمور من حوائج الميت فهي بمنزلة الطعام والشراب واللباس والسكن للمفلس.

٢- ثم الحقوق المتعلقة بعين التركة مثل الدين الذي فيه رهن وانما قدمت على ما بعدها لقوة تعلقها بالتركة حيث كانت متعلقة بعينها.

(وعند الأئمة الثلاثة: مالك وأبي حنيفة والشافعي تقدم هذه الحقوق على مؤن التجهيز لأن تعلقها بعين المال سابق وعلى هذا فيقوم بمؤن التجهيز من تلزمه نفقة الميت إن كان والا فضي بيت المال وهذا القول كما تري له حظ من النظر والله أعلم.)

٣- ثم الديون المرسلة التي لا تتعلق بعين التركة كالديون التي في ذمة الميت بلا رهن سواء كانت لله كالزكاة والكفارة أم للأدمي كالقرض والأجرة وثمان المبيع ونحوها.

ويسوى بين الديون بالحصص

إن لم تف التركة بالجميع،

سواء كان الدين لله أم للأدمي

وسواء كان سابقاً أم لاحقاً

(وانما قدم الدين على

الوصية لما روى أحمد

والترمذي وابن ماجه عن

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

رضي الله عنه قال إنكم تترؤون

(من بعد وصية يوصي بها أو

دين) وإن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قضى بالدين قبل

الوصية. وهذا الحديث وإن كان

في إسناده مقال إلا أنه يعضده

- تقديم تجهيز الميت على قضاء الديون الشخصية.

- كالزكاة والقرض.

- وتنفيذ الوصية على تقسيم الارث.

ولكنهم اختلفوا في الديون العينية - كالدين الموثق برهن عيني من اعيان التركة - هل تقدم على التجهيز أم لا، على رأيين تتعرض لهما بالتفصيل فيما يلي:

أولاً: تعريف التجهيز. والديون العينية:

١- تجهيز الميت:

مثل غسله، وتكفينه، ودفنه بما يليق بأمثاله، فتشمل شراء الكفن، وأجرة المغسل، والحمل إلى القبر، وثمان القبر وأجرة حضره، وكذا كل ما يلزم من نفقات حتى وضعه في قبره، حيث إن تجهيز الميت حاجة من حاجاته: فكما كان يقضي حاجاته في الدنيا، يتم تجهيزه على الكيفية نفسها من غير إسراف ولا تقتير، وبما يليق بحاله عسراً ويسراً، ولا يدخل في التكفين والتجهيز إقامة المآتم، وحفلات التشييع، وولائم الخميس، والجمعة، والأربعين، والسنوية، وما يدفع للمنشدين، والمرتلين، وتشبيد القبور بالرخام، والأحجار الثمينة، والأبنية المقامة على الأضرحة عند قبور من يوصفون بالأولياء والصالحين، والورود التي توضع على القبور ساعة الدفن، فمن فعل هذا للميت يضمن ذلك من ماله

الخاص، وليس من التركة، لأن

معظمها بدع وممنوعة شرعاً.

٢- الديون المتعلقة بعين التركة:

هي التي تتعلق بأعيان

الأموال التي يتركها الميت،

كالقرض الموثق بالرهن،

والمبيع مات مشتريه مفلساً.

ثانياً: آراء الفقهاء في أيهما

يقدم على الآخر:

اختلف الفقهاء في هذه المسألة

على رأيين:

الرأي الأول: رأى الحنابلة:

تقديم تجهيز الميت على قضاء

ديونه المتعلقة بعين التركة.

إذا مات المرء تعلقت

بتركته حقوق هي:

تجهيز الميت، وقضاء

ديونه وقسموها إلى

ديون عينيه وديون

مطلقة، وتنفيذ

وصاياه، وتوزيع

الإرث على ورثته.

المعنى والإجماع أما المعنى فلأن الدين واجب على الميت والوصية تبرع منه والواجب أولى بالتقديم من التبرع، وأما الإجماع فقد أجمع أهل العلم على تقديم الدين على الوصية.

هـ - فإن قيل: فما الحكمة في تقديم الوصية على الدين في الآية الكريمة فالجواب: أن الحكمة والله أعلم هي أن الدين واجب والوصية تبرع والتبرع ربما يتساهل به الورثة ويستثقلون القيام به فيتهاونون بأدائه بخلاف الواجب، وأيضاً فالدين له من يطالب به فإذا قدر أن الورثة تهاونوا به فصاحبه لن يترك المطالبة به فجبرت الوصية بتقديم ذكرها والله أعلم.

٤- ثم الوصية بالثلث فأقل لغير وارث.

(فأما الوصية للوارث فلا تجوز قليلة كانت أو كثيرة لأن الله قسم الفرائض ثم قال: (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم) ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) والوصية للوارث من التعدي على حدود الله لأنها تقتضي زيادة بعض الورثة عما حد الله له وأعطاه إياه.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث) (رواه الخمسة إلا النسائي) وقد أجمع العلماء على العمل بمقتضى هذا الحديث.

لكن إن أجاز الورثة المرشدون الوصية لأحد من الورثة نفذت الوصية لأن الحق لهم فإذا رضوا بإسقاطه سقط، وأما الوصية لغير الوارث فإنها تجوز وتصح بالثلث فأقل ولا تصح بما زاد عليه لأن الثلث كثير فيدخل ما زاد عليه بالمضارة ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لو أن الناس غصوا من الثلث إلى الربع فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الثلث

والثلث كثير) متفق عليه.

فإن أجاز الورثة المرشدون الوصية بما زاد على الثلث صح ذلك لأن الحق لهم فإذا رضوا بإسقاطه سقط.

وقد اختلف العلماء رحمهم الله متى تعتبر إجازة الورثة الوصية للوارث أو بما زاد على الثلث فالشهور من مذهب الإمام أحمد عند أصحابه أنها لا تعتبر إلا بعد الموت فلو أجازوا قبله لم تصح الإجازة ولهم الرجوع. والراجح أن الإجازة إن كانت في مرض موت المورث صح وليس لهم الرجوع وإن كانت في غير مرض موته لم تصح ولهم الرجوع. وهذا مذهب مالك واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بدائع الفوائد صفحة (٤) من الجزء الأول.

٥- ثم الإرث لأن الله سبحانه قال بعد قسمة الموارث: (من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار) ويبدأ بذوي الفروض وما بقي فللعصبة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أرحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولي رجل ذكر) متفق عليه فإن لم يكن عصبه رد على ذوي الفروض بقدر فروضهم إلا الزوجين فإن لم يكن عصبه ولا ذوو فرض يرد عليهم فلذوي الأرحام لقوله تعالى: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) فإن لم يكن ورثة فلبيت المال.

وخلاصة ما سبق أن الحقوق المتعلقة بالتركة خمسة، مرتبة كالاتي:

الأول: مؤن التجهيز.

الثاني: الحقوق المتعلقة بعين التركة، ومذهب الأئمة الثلاثة أن هذا مقدم على مؤن التجهيز.

الثالث: الديون المرسلة.

الرابع: الوصية.

الخامس: الإرث.

وهذا الترتيب هو ما جرى عليه قانون الموارث المصري في المادة الرابعة.

والحمد لله رب العالمين.

**الوصية للوارث
لا تجوز قليلة كانت
أم كثيرة، لأن
الله سبحانه قسم
الفرائض ثم قال:
تلك حدود.. ومن
يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري
من تحتها الأنهار.**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول
الله وآله وصحبه والتابعين، وبعد:**
**فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان
التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، فهو نظام
التوحيد، فمن حقق أركان الإيمان تم
توحيده وإيمانه، ومن حقق أركان الإيمان
ولكنه كذب بالقدر فقد نقض تكذيبه
توحيده وإيمانه.**

فقد روى مسلم من حديث عمر بن
الخطاب رضي الله عنه في سؤال جبريل
عليه السلام الرسول صلى الله عليه وسلم
عن الإيمان، قال: "أن تؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره"
(جزء من حديث في صحيح مسلم: ٨).

وروى مسلم- أيضا- عن طاووس بن
كيسان رحمه الله قال: أدركت ناسا من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقولون: كل شيء بقدر. وسمعت ابن عمر
رضي الله عنهما يقول: كل شيء بقدر حتى
العجز والكيس" (صحيح مسلم: ٢٦٥٥).
قال النووي: معناه أن العاجز قد قدر
عجزه، والكيس قد قدر كيسه. اهـ والكيس
هو القدرة على حذق الأمور

حياة العبد بين قدر الله ولطفه:

خلق الله الخلق، وقدر عليهم المقادير،
وجعل حياتهم التي يحيون فتنة ومحنة
وابتلاء واختبارا، قال الله تعالى: «الَّذِي خَلَقَ
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ يَسْأَلُكُمْ أَنتُمْ أَتَعْلَمُونَ» (المالك: ٢)،
وقال تبارك وتعالى: «أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَمُرُّوا
أَنْ يَقُولُوا: «مَسَا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ» (العنكبوت: ٢)،
وقد يكون في السراء من الفتنة والاختبار
ما ليس في الضراء، كقوله تعالى: «إِنَّمَا
أَمْرُنَا بِأَوْلَادِكُمْ فَتَنَةٌ مِمَّا عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ»
(التغابن: ١٥)، وكقوله: «فَلَا تُعْجِبْكَ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا»
(التوبة: ٥٥).

فكان لزاما أن يبتلى المرء ويختبر، فإن
كان في عافية وسراء فهو مبتلى بها، هل

حكمة الله تتجلى في أقداره !!

أحمد صلاح رضوان

إعداد



يشكر أو لا يشكر؟ وإن كان في مرض وضراء فهو مبتلى بها، هل يصبر أو لا يصبر؟ والمؤمن في كل أحواله صبار شكور، يعيش بين قدر الله ولطفه.

فقد روى أحمد في مسنده عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ اللَّهُ لَمْ يَقْضِ قِضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ". (مسند أحمد ١٢١٦٠ وصححه الألباني: انظر حديث رقم: ٣٩٨٥ في صحيح الجامع).

ولما كانت الدنيا دار عناء وشقاء، وكرب وضراء، كثيرة المنغصات أخطأ من رجا منها الولد، لأنها عاقرة لا تلد، لذلك كان دعاء أهل الجنة إذا دخلوا الجنة: **لَمَعْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا مِنَ الْعَزَّةِ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ**، (فاطر: ٣٤).

قال الامام أحمد رحمه الله: يا أخي، إنه طعام دون طعام، وشرب دون شراب، ولا راحة للمرء إلا في الجنة (مجموعة الفتاوى ١٨٥/٣٠) (سير أعلام النبلاء ٢١٥/١١).

فقه الابتلاء:

ليست الابتلاءات والعقوبات التي تصيب العبد عقاباً صرفاً، بل هي سنة ربانية ماضية في الناس لحكمة جليلة يعلمها العليم الحكيم، تهدف إلى حمل الناس على التضلع إلى الله تعالى والاستكانة له، فيرجعون إلى طاعته وينيبون إليه ويستغفرونه، قال الله تعالى: **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ آسِرَتَيْنِ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَهُمَا بِالْأَسْوَىٰ وَالصَّوْتَهُمَا بِهَرَجُورَةٍ**، (الأنعام: ٤٢)، وقال سبحانه: **وَتَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**، (الأعراف: ١٦٨).

فلا يتصور أحد أنه لكونه ابتلي بنوع من أنواع الابتلاءات أن الله تعالى يكرهه، وهو مطيع لله صابر على قضائه- عياداً بالله- فهذا من الظن السيئ برب العالمين، فالمحن والابتلاءات التي تمر بك، الله سبحانه هو الذي قدرها، وهو أعلم بك، محب لك، ما دمت مطيعاً له، وهو يعلم ما يصلحك وما يضررك، قال الله تعالى: **وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَرَبَّاهُمُ لِيَأْتِيَهُمُ الْبَرَاقِعُ فِي الْأَرْضِ**، (الشورى: ٢٧)، وفي مسند أحمد، قوله صلى الله عليه وسلم: **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِيُحِمِّي عَبْدَهُ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرْضَاكُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَوْفًا لَهُ عَلَيْهِ**، (مسند أحمد ٢٣٦٣٢، وصححه

الألباني في صحيح الترغيب: ٣١٧٩).

قاله يعطي الدنيا من أحب، ومن لا يحب. ولا يعطي الدين إلا من أحب، فليس المنع دليل غضب، كما أن العطاء ليس دليل رضا.

كم من منعة في المحنة !!

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: **كُلُّ يَوْمٍ تَوَلَّىٰ تَوَلَّىٰ**، (الرحمن: ٢٩): يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء. (تفسير الطبري ٥٩٢/١١).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرح كرياً، ويرفع قوماً ويضع آخرين. (الدر المنثور ٦٩٩/٧).

فدوام الحال من المحال، والزمان ذول بين أهله، والله يغير أحوال العباد من قدر إلى قدر بما لا يظن إليه عقل، ولا يتصوره بشر، فتولد المنحة من رحم المحنة، فأشد ساعات الليل سواداً هي التي يعقبها الفجر.

يروى أن بعض العلماء شهد جنازة، فتبعهم نباش، فلما كان الليل جاء النباش ففتح عن الميت قبره، وكان شاباً قد أصابته سكتة- فلما فتح النباش القبر عليه نهض الميت جالساً، فسقط النباش ميتاً في القبر، وخرج الشاب يمشي إلى أهله. (البداية والنهاية ٣١١/١٣)

هي الأيام والعبر

وأمر الله ينتظر

أقياس أن ترى فرجاً

فأين الله والقدر !!

حكمة الابتلاء

لقد جعل الله تعالى بعلمه وحكمته للابتلاءات والمحن فوائد كثيرة، لمن ابتلي فصبر، أو عوفي فشكر، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، أسوقها لكم، لعل الله أن يربط بها على القلوب، ويثبت بها الأفتدة، فيزداد المبتلى صبراً، والمعافي شكراً، إنه ولي ذلك والقادر عليه، منها:

١- محو الخطايا، وتكفير السيئات:

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يَشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ**

الله بها من خطاياها“ (صحيح البخاري (٦٥٤).

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال: ما لك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفرين.. قالت: الحمى، لا بارك الله فيها. فقال: لا تسبى الحمى؛ فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكبر حبت الحديد. (صحيح مسلم ٢٥٧٥).

وفي سنن الترمذي: فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة. (سنن الترمذي ٢٣٩٨ وصححه الألباني).

٢- رفع الدرجات، وعلو المقامات:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه" (صحيح البخاري ٥٦٥٣).

وهذا في قوم يحبهم الله فيبتليهم ويصبرهم بفضله، وآخرون يحل بهم البلاء لتسقمهم- عيادا بالله- كما قال تعالى في أصحاب الضرية التي كانت حاضرة البحر: **كَذَلِكَ تَلْوَهُمْ لِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** .

(الأعراف: ١٦٣)، فبالنظر إلى حال المرء وما هو عليه من صلاح فتحل به البلايا ويصبر، فذلك من حب الله تعالى له، وإن كان معرضاً عن طاعة الله تعالى، فما يُصاب به من البلايا هو من جملة العقوبات على ما فرط في أمر الله، فمن صبر ورضي علت درجته، وزاد كماله، ونال الإمامة في الدين، لقوله تعالى: **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ** . (السجدة: ٢٤).

٣- حمل العباد على التوبة والاستغفار والرجوع

إلى الله تعالى:

قال الله تعالى: **وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبَةً بِيَدِنَا فَاسْتَغْفِرُوا لَكُمْ أَسْرَارًا وَلَا تَدْرُسُوا ظُهُورَ الْمَنَافِقِ وَلَا تَجُنُّوا أَعْيُنَهُمْ فَاحْتَرِبُوا سَبِيلَ مَنَافِقٍ بَلِّغُوا الْمَنَافِقَ أَنَّ الْمَنَافِقَ سَاءُ أَهْلًا وَمَنْ يَتَرَاقِبْهُمْ فَيَنْبَغِ عَلَيْهِمْ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنَ الْجُمُوعِ وَيَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ وَيَدْعُوهمَ إِلَى طَرِيقِ رَبِّهِمْ وَيَخْلَقَهُمْ**.

وقوله تعالى: **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ وَالنِّسَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّوْنَ** . (الأعراف: ٩٤)، وكل ذلك حتى يرفعوا أكف الضراعة إلى الله تعالى،

ويعلموا أنه لا كاشف لما هم فيه إلا الله، وأن ما حصل لهم إنما هو بذنوبهم، فيقدموا لذلك استغفاراً لعل الله أن يرفع ذلك عنهم، فما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، ولكن: **فَسَتَّ قُلُوبَهُمْ وَكَثُرَ مِنْهُمْ الْفٰسِقُونَ** . (الحديد: ١٦).

فكثير من الناس إذا كان في عافية ركن إليها، وطال عليه الأمد، فقسا قلبه وأصابه زكام الكسل، فإذا أصابته ضراء تذكر وأبصر وعاد إلى الله تعالى، فكان البلاء خيراً له، قال الله تعالى: **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّيْنِ وَنَفَخْنَا مِنَ السَّمَاءِ لَعْنَهُمْ بِذَكَرٍ وَأُنْزَلْنَا السُّجُودَ عَلَيْهِمْ وَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُكِّرُوا بِلَعْنِهِمْ** . (الأعراف: ١٣٠).

٤- الابتلاءات تمنع كثيراً من الناس من الطغيان

والتماذي في الغي:

فمن المعلوم أن الإنسان كلما تكاثرت عليه النعم ازداد طغياناً وكبراً على الناس، بل وتمرد على خالقه، بل ربما قال: **إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي** . (القصص: ٧٨)، ورثته كابرًا عن كابر، قال الله تعالى: **كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ** . (العلق: ٦-٧) أي: إن الإنسان يبدأ في الطغيان والبغي كلما رأى نفسه مستغنياً بماله وصحته وذريته ومنصبه، فيبتلى حتى لا يتمادي في الغي.

فأحياناً تحل الخسارات بالعباد؛ لنعمهم من المعاصي، كالذي يستعمل ماله في المعاصي والذنوب، هل الأولى والأصلح له في دينه أن يسلب هذا المال، أم يبقى في يده يعصي به ربه تعالى ويؤدي به العباد، ويُفسد به في البلاد؟ وأحياناً تكسر رجل الرجل حتى لا يذهب بها إلى المعاصي!! وأحياناً يسجن الإنسان حتى يخلو بربه تعالى ويحفظ القرآن ويقوم الليل، وقد كان قبل ذلك مضطراً، بل ينام عن الصلوات المكتوبات، لاسيما صلاة الفجر!!

أرايتم لو أن فرعون كان أخرس، أكان يقول: أنا ربكم الأعلى؟ ولو كان قازون فقيراً، أكان يقول: إنما أوتيته على علم عندي؟ فالله تعالى يمنع بحكمة، ويعطي بحكمة، يُغني بحكمة، ويُفقر بحكمة، وله الحكمة البالغة، سبحانه وتعالى.

٥- أن المبتلى يدخل في عداد الصابرين- إن صبر

واحتسب- فيحظى بفضائلهم ويرتقى إلى درجاتهم؛ فكل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها

إلى سبعمائة ضعف، إلا الصبر فإنه لا يُحصَرُ أجره؛ لعظم موقعه في الدين، قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** (الزمر: ١٠).

وهذا نبي الله أيوب عليه السلام لما ابتلي فصبر نال شهادة حسنة وثناء من الله جميلاً، فقال تعالى: **﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَقِمَ قَبَدُ بَنِي نُوحَ﴾** (ص: ٤٤).

قال سليمان بن أيوب رحمه الله: مكثت في سجن محمد بن عبد الملك الزيات في خلافة الواثق العباسي، فأصابني من الهم والغم ما الله به عليم، حتى وصلتني رسالة من أخي الحسن (ابن وهب) وهو من أقران أبي تمام الشاعر المعروف، قال فيها:

محن أبا أيوب أنت محلها

فإذا جزعت من الخطوب فمن لها؟!

فاصبر فإن الله يعقب فرجه

ولعلها أن تنجلي ولعلها

وعسى تكون قريبة من حيث لا

ترجو وتمحو من جديدك ذلها

قال: فتفاءلت لذلك وقويت نفسي، وكتبت إليه:

صبرتني ووعظتني وأنا لها

وستنجلي بل لا أقول لعله

ويحلها من كان صاحب عقدها

ثقة به أن كان يملك حلها

٦- إن الابتلاءات تظهر العدو من الحبيب، والمحب

من المبغض، والمؤمن من المنافق؛

كما يقولون: سلم الله الشدائد التي أظهرت

عدوي من حبيبي.. فيعيد المرء النظر فيمن حوله

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (الأنفال: ٣٧)، فمن الناس

ناسٌ قلوبهم قلوب الذناب في جثمان إنس، قد كنت

تراه حنوناً مشفقاً عليك في الظاهر، يلتف حولك

لمصلحة ما، فجاءت المصيبة ليظهر الوجه الحقيقي

القبیح.

وهذه الضنن والبلايا والرزايا التي حلت ببلادنا من

ثورات ونكبات، كانت سبباً في سقوط أقتعة الكثير من

المنافقين الذين انخدعت بهم الجماهير طول السنين

الماضية، حتى ميز الله الصّف، وبان الغث من السمين،

والخبِيث من الطيب، قال تعالى: **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ**

بِمَنَّهُمْ يَتَكَبَّرَ الْأَرْضُ وَالْحَكِيمُ اللَّهُ ذُو

فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١).

وهكذا الشدائد دوماً تفرز أهل الفضل والصالح،

تنفك بعد المصيبة صحبتهم، وتفرز آخرين يجب بعد ذلك الحذر منهم.

فكم أظهرت محنة المسلمين في يوم الأحزاب

من منافقين يقولون: **﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾**

(الأحزاب: ١٢)، ومن منافقين يوم تبوك: **﴿لَوْ خَرَجُوا**

بِكُمْ مَا زَادَكُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (التوبة: ٤٧)، وكم أظهرت

هذا الشدائد من مستأذن يريد الضرار: **﴿يَقُولُونَ إِنَّا يُونُسًا**

عَسْرَةً وَمَا هِيَ بِعَسْرَةٍ إِنَّا زُيْنُسًا﴾ (الأحزاب: ١٣) كما

أظهر من مؤمنين صادقين فيما عاهدوا الله عليه، لم

يتزعزع الايمان في قلوبهم لحظة!!

وكم أفرز حادث الافك من صديق حميم محب

رحيم!! وكم أفرز من عدو بغيض وشيطان رجيم!!

وقال الله تعالى في صلب الحادثة: **﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلَىٰ**

هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (النور: ١١)، فالحمد لله الذي جعل من

الشدائد ميزة وفرقانا بين المؤمنين وبين المنافقين.

أخيراً: فمن خلال ما سبق ينبغي للمسلم أن

يعلم أن الله تعالى لم يخلق شراً محضاً، وما في كونه

من شر فقي حق العبد، لكن وراءه خير عظيم، فهو

سبحانه يبتليك ليعافيك، ويمرضك لينجيك،

ويضيق عليك ليرفعك في الآخرة، وينزل عليك

الكرب ليرى العبودية من قلبك ويسمع النجوى

من لسانك، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول:

«والخير كله في يديك، والشر ليس إليك» (صحيح

مسلم ٧٧١).

فلا تحزن أيها الفقير وأيها السقيم، وأيقن

أن الغني مبتلى بغناه، وأن المعافي في بدنه مبتلى

بالعافية، وأيقن أنك لا تدري إلى ماذا سيؤول أمرك

إذا أغناك الله وعافاك، أتشكر أم تكفر؟ فقليل من

العباد الشكور، فقد روى مسلم عن صهيب رضي

الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«عجبا**

لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا

للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن

أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (صحيح مسلم

٢٩٩٩).

فيا أهل البلاء!! يا أصحاب الهموم!! إن في الله

خلفاً من كل هالك، وعضواً من كل تالف، وعزاءً من

كل مصيبة، فبالله فاثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب

من حرم الثواب.

والحمد لله رب العالمين.

من نور كتاب الله

الحياة في القرآن والسنة

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِحَوْلِ رَبِّكَ أَكْبَرُ وَقَلِيلٌ مِمَّنْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٤).

من فضائل الصحابة

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر". (سنن ابن ماجه ٩٧ وصححه الألباني).

من دلائل النبوة

عن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الأكوع، فقلت: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة فقلت يا أبا مسلم ما هذه الضربة فقال هذه ضربة أصابني يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفت فيه ثلاث نفات فما اشتكتها حتى الساعة. (صحيح البخاري ٤٢٠٦).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول: يا رب لا رسالك بي إلى النار أيسر علي مما ألقى - وإنه ليعلم ما فيها- من شدة العذاب). (حديث منكر، سلسلة الأحاديث الضعيفة).

من درر العلماء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الله خلق الخلق لعبادته الجامعة، لمعرفة والإتابة إليه، ومحبته والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وبرؤيته في الآخرة تقرُّ عيونهم ولا شيء يعطيهم في الآخرة أحب إليهم من النظر إليه؛ ولا شيء يعطيهم في الدنيا أعظم من الإيمان به". (مجموع الفتاوى).

من أقوال السلف

عن الحسن البصري قال: "إنما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بهم السبل، وحادوا عن الطريق فتركوا الآثار، وقالوا في الدين برأيهم فضلوا وأضلوا". (الاعتصام للشاطبي).

حكم ومواعظ

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "لا تنظروا إلى صلاة أحد ولا إلى صيامه، ولكن انظروا إلى من إذا حدث صدق وإذا اتهم أدى وإذا أشفى ورج". (شعب الإيمان).



من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

والكاظمين الغيظ

عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظلمها عبد ابتغاء وجه الله» (سنن ابن ماجه ٤١٨٩، وصححه الألباني).

من الحكمة في الدعوة إلى السنة

قال العباس بن غالب: قلت لأحمد بن حنبل رحمه الله: يا أبا عبد الله: أكون في المجلس ليس فيه من يعرف السنة غيري فيتكلم مبتدع فيه أرد عليه؟ فقال: «لا تنصب نفسك لهذا، قال: أخبر بالسنة ولا تخاصم». (رسالة السجزي).

حرمة دماء غير المسلمين

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً» (البخاري ٣١٦٦).

بعد ذلك نقول: هذا في حق غير المسلمين فما بالنا بالمسلمين؟!

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر رضي الله عنه، شر الناس ثلاثة: متكبر على والديه يحقرهما، ورجل سعى في فساد بين رجل وامرأته ينصره على غير الحق حتى فرّق بينهما ثم خلف بعده (أي: وتزوجها هو)، ورجل سعى في فساد بين الناس بالكذب حتى يتعادوا ويتباغضوا.



في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان يصلي على حمار يومئذ إيماء» الإيماء: الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب، وإنما يريد به هاهنا الرأس. يقال أومات إليه أومئ إيماء. (النهاية لابن الأثير).

من معاني الأحاديث

من حكمة الشعر

قال البستي محذراً من مصاحبة الأشرار:
تجنب مجالس أهل الفساد
وقايض دنوتك منهم بعيد
فقد يفسد الثراء بعد الصلاح
فساد الأماكن والشرب يعدي

صحح لغتك

من الخطأ قولك: البند الأول، والصحيح: الفقرة الأولى؛ لأن البند كلمة فارسية تعني الحيلة والخديعة. وقولك: أنت بمثابة أبي والصحيح: أنت مثل أبي.

أثر السياق في فهم النص

تأثير قرائن السياق على الأحكام الفقهية

الحلقة ٦٦

متولي البراجيلي

إعداد /

**الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من
لا نبي بعده. وبعد:**

تكلمنا في العدد السابق عن الترجيح
بالدلالة كطريقة من طرق الترجيح بين
الأدلة الثقيلة، وأن العلماء اصطالحوا على
تسميتها بدلالات النص، وأنها عند الجمهور
تنقسم إلى قسمين: دلالة منطوق ، ودلالة
مفهوم.

وقسمها الأحناف إلى أربعة أقسام: عبارة
النص ، إشارة النص ، دلالة النص (وهذه
الثلاثة مقابلة لدلالة المنطوق عند الجمهور
، اقتضاء النص (وهي المقابلة لدلالة المفهوم
عند الجمهور).

وتكلمنا عن دلالة المنطوق والمفهوم ، ثم
تكلمنا عن دلالات العبارة ، الإشارة ، النص ،
ونستأنف البحث بإذن الله تعالى.

رابعاً: دلالة الاقتضاء:

وهي اقتضاء الكلام تقدير كلمة محذوفة
دل المقام عليها، وتقديرها لا بد منه حتى
يستقيم الكلام صدقاً أو شرعاً أو عقلاً.

١- ما يتوقف عليه صدق الكلام:

قلو لم نقدر المحذوف لكان الكلام غير
صادق ومخالفاً للواقع والحقيقة، مثال ذلك:
حديث ابن عباس رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله وضع عن
أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه
(صحيح سنن ابن ماجه وغيره).

فظاهر الحديث يدل على أن الله تعالى
قد وضع عن هذه الأمة الخطأ والنسيان
والإكراه. أو أنها لا تقع فيه، وهذا غير صحيح،
حيث إنه لا يطابق الواقع، فالأمة يقع منها
الخطأ والنسيان والإكراه؛ لأن الأمة ليست
معصومة. ولأن النبي صلى الله عليه وسلم
لا يخبر إلا صدقاً، فاقتضى السياق أن نقدر
كلمة محذوفة استفدناها من العبارة، وهي
الإثم. فيكون تقدير الكلام بعد هذا: وضع
عن أمتي إثم الخطأ. وإثم النسيان، وإثم ما
استكرهوا عليه.

وكحديث النبي صلى الله عليه وسلم

الميتة، فيكون التقدير: حرم عليكم أكل الميتة.
(انظر إجابة السائل شرح بغية الأمل للصنعاني
ت ١١٨٢، ص ٢٣٤، ٢٣٥، الجامع لمسائل أصول
الفقه د. عبد الكريم النملة ص ٢٩٣، ٢٩٤،
المهذب د عبد الكريم النملة ١٧٢٥/٤ - ١٧٣٠).

تطبيقات عملية على استخدام قرآن السياق: أولاً في مجال العبادات:

صلاة الوتر:

لأهل العلم في حكم صلاة الوتر قولان:
القول الأول: وهو قول الجمهور: أنه سنة
مؤكدة. القول الثاني: وهو قول الحنفية: أنه
واجب.

أولاً: ما استدلل به الحنفية:

١- حديث بريدة وأبي هريرة رضي الله
عنهما مرفوعاً: "من لم يوتر فليس منا"
(ضعيف: انظر تخريج أحاديث منار السبيل ح
٤١٧، السلسلة الضعيفة ح ٥٢٢٤).

٢- حديث ابن عمر رضي الله عنهما
مرفوعاً: "اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً"
(متفق عليه).

٣- حديث أبي بصرة رضي الله عنه مرفوعاً:
"إن الله زادكم صلاة، وهي صلاة الوتر فصلوها
بين صلاة العشاء إلى صلاة الضجر" (مسند
أحمد وغيره. انظر السلسلة الصحيحة ح ١٠٨).

٤- حديث أبي أيوب رضي الله عنه مرفوعاً:
"الوتر حق على كل مسلم، فمن أحب أن يوتر
بخمس فليضعل، ومن أحب أن يوتر بثلاث
فليضعل، ومن أحب أن يوتر بواحدة فليضعل"
(صحيح سنن أبي داود وغيره).

٥- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله
عنه مرفوعاً: "أوتروا قبل أن تصبحوا" (صحيح
مسلم).

٦- حديث عائشة رضي الله عنها قالت:
"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من
الليل، فإذا أوتر، قال: قومي فأوتري يا عائشة"
(صحيح مسلم).

استدلالات الحنفية من الأحاديث

١ - اعلم أن الواجب عند الحنفية دون
الغرض وفوق المستحب (النفل) وهو ما ثبت

الذي روته حفصة رضي الله عنها: من لم يبيت
الصيام من الليل فلا صيام له (صحيح سنن
النسائي وغيره). فاقترضى سياق الحديث أن
تقدر كلمة (صحيح) حتى يتضح المعنى المقصود
من الحديث: لأن صورة الصيام تقع سواء نوى
أو لم ينو. لكن من نوى صيامه - وذلك في
صيام الواجب - ومن لم ينو لم يصح صيامه.
فيكون تقدير الكلام: من لم يبيت الصيام من
الليل فلا صيام - صحيح - له.

٢- ما يتوقف عليه صحة الكلام شرعاً:

فالمتقضي يوجب تقدير كلمة، حتى يصح
الكلام من الناحية الشرعية، مثال ذلك في قوله
تعالى: (فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ نَفْسٌ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ) (البقرة: ١٨٤)، فظاهر الآية يدل على
أن المسافر يصوم عدة من أيام أخر مطلقاً، أي
سواء صام في سفره أو لم يصم.

لكن الشرع دل على أن المسافر إذا أفطر في
سفره فعليه القضاء في أيام أخر. أما إذا صام في
سفره فلا موجب للقضاء عليه فيكون التقدير:
أو على سفر (فأفطر) فعدة من أيام أخر.

ومثال آخر: قول الإنسان لمن يملك عبداً:
اعتق عبدك عني وعلني ثمنه فهذا تصرف
قولي، وما دل عليه بعبارة نصه لا يصح شرعاً.
إذ العبد ملك لصاحبه ولا يجوز للغير عتقه
بدون أن يملكه حقيقة أو حكماً، فصحة هذا
التصرف شرعاً تتوقف على ثبوت تملك من
يريد العتق أولاً، ثم يوكل المالك الأول في بيعه
فيكون التقدير: بع عبدك هذا علي بألف وكن
وكيلاً عني في عتقه.

٣- ما يتوقف عليه صحة الكلام عقلاً وهو
ما وجب تقديره لتصحيح الكلام من جهة العقل،
فيمتنع وجود الملفوظ عقلاً بدون ذلك المقدر،
مثال ذلك في قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
أُمَّهَاتُكُمْ) (النساء: ٢٣)، فإن العقل يمنع من
إضافة التحريم إلى ذات الأمهات، فوجب إضمار
فعل يتعلق به الحكم، وهو هنا "الوطء" نظراً
إلى أن العقل يقتضيه فيكون التقدير: حرم
عليكم وطء أمهاتكم. وكذلك قوله تعالى:
(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْبَانُهُ) (المائدة: ٣) المقصود أكل

بخير الواحد

٢- نقل عن أبي حنيفة يرحمه الله ثلاث روايات في حكم الوتر: أحدها أنه واجب، وهو آخر أقواله وهو الصحيح، وهو الظاهر من مذهبه. والثاني أنه فرض.

وقد مال سحنون والأصبخ من المالكية إلى القول بأنه فرض.

والثالثة: أنه سنة مؤكدة

٣- أجابوا عن حديث الأعرابي (هل علي غيرهن ؟ ... الحديث) أن ذلك كان متقدما - قبل وجوب الوتر - لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر فيه الحج.

٤- وأما صلاته صلى الله عليه وسلم الوتر على الراحلة والفرائض لا تؤدي عليها. فقالوا بأن الوتر في السفر ليس بواجب على النبي صلى الله عليه وسلم وبالتالي كان يصله على الراحلة، وذكروا حديثاً رواه الطحاوي بإسناده: أن ابن عمر كان يصلي على راحلته ويوتر بالأرض ويزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك (والأثر صحيح لكن جاء عن ابن عمر أنه أنكر على سعيد بن يسار نزوله الأرض ليوتر، فدل ذلك على أنه يرى جواز الأمرين) انظر صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للألباني (٥- وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالوتر كما يحدث أبي بصرة : فصلوها .

وبحديث أبي سعيد : أوتروا ، وغير ذلك من الأحاديث والأمر للوجوب

٦- وكذلك في حديث أبي بصرة مرفوعاً: إن الله زادكم صلاة... فأضاف الزيادة إلى الله تعالى، والسنن إنما تصاف إلى رسول الله، وأن الزيادة في الشيء إنما تتحقق إن كان من المزيد عليه فأضافته للواجبات أولى للأخذ بالاحتياط (انظر البناية شرح الهداية لبدر الدين العيني الرحفي ت ٨٥٥، ٤٧٣/٢ - ٤٨٢)

ثانياً: أدلة الجمهور:

١- حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: جاء رجل (ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد.... الحديث وفيه: فإذا هو يسأل عن

الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات في اليوم والليلة. فقال هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع... (متفق عليه).

وفي هذا دليل على أن الوتر غير واجب؛ لأنه كما هو معلوم فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز في حقه تأخير البيان عن مقتضى الحاجة، فإن قيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم أجاب الأعرابي بالفرائض فقط لحداثة عهده بالإسلام، أجيب عن ذلك بأن الوتر لو كان فرضاً كالخمس صلوات لارتفعت أهميته، وزاده النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث.

٢- حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن فقال: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم... الحديث (متفق عليه).

وهذا الحديث يرد على من قال في حديث الأعرابي (ضمام بن ثعلبة) أنه وقع في أوائل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر فيه الحج؛ لأنه من المعلوم أن بعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن كان قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بقليل فلو كان واجباً لأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم به.

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، كفارات لما بينهن ما لم تغش الكبائر" (صحيح مسلم). فلم يذكر في الحديث صلاة الوتر.

٤- حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوتر على البعير (متفق عليه).

وهذا الحديث فيه قرينة ظاهرة على عدم وجوب الوتر، وهي صلاة النبي صلى الله عليه وسلم له على الراحلة؛ إذ إن الفريضة لا تصلى على الراحلة. قال الطبري: هذا الحديث حجة على أبي حنيفة في إيجابه الوتر، لأنه لا خلاف

بين الجميع أنه غير جائز لأحد أن يصلي مكتوبة ركباً في غير حال العذر، ولو كان الوتر فرضاً ما صلاه الرسول صلى الله عليه وسلم ركباً بغير عذر. (شرح صحيح البخاري لابن بطال ت ٤٤٩ هـ، ٥٨٢/٢).

وقال ابن عبد البر: ... لأن الإجماع منعقد على أنه لا يجوز لأحد أن يصلي على الدواب شيئاً من فرائض الصلوات إلا في شدة الخوف خاصة وفي غلبة المطر عليه.... (الاستذكار لابن عبد البر ت ٤٦٣، ١١٥/٢).

كما أن هناك قرينة أخرى في قوله تعالى: **(حَظِيظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الَّتِي تَقُومُونَ بِهَا قَنِينًا)** (البقرة: ٢٣٨)، فلو كانت الصلوات ستاً ما كانت هناك صلاة وسطى.

ثالثاً: توجيه أدلة الحنفية: فقوله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث: "إن الله زادكم صلاة وهي صلاة الوتر"، "الوتر حق على كل مسلم"، "أوتروا قبل أن تصبحوا"، قومي فأوترني يا عائشة" فتوجيهها كالتالي: قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله زادكم صلاة وهي صلاة الوتر". وهذا لا حجة فيه لأنه يحتمل أن يكون زادنا في أعمالنا التي نؤجر عليها فضيلة ونافلة بقوله زادكم، وزاد لكم، ولم يقل زاد عليكم، وما لنا هو خلاف لما علينا. (الاستذكار ٣٧٠/٢).

فقوله: زادكم ليس بموجب للفرس لاحتماله أن يكون زادنا فيما يكون لنا زيادة في أعمالنا، كما جاء في الوصية عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله جعل لكم ثلث أموالكم زيادة في أعمالكم"، ومعلوم إنما هو لنا، خلاف لما افترض علينا (الاستذكار ١١٢/٢ - ١١٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "الوتر حق على كل مسلم فلفظة "حق" قد تحتمل الوجوب وغيره، والأحاديث التي ذكرنا طرفاً منها صرفت معناهما من الوجوب إلى الاستحباب، فتكون حق على تأكيد استحبابها، يقول الحافظ ابن حجر: فيحتاج من احتج به (أي على الوجوب) أن يثبت أن لفظ حق بمعنى واجب في عرف الشارع (فتح

الباري ٤٨٧/٢).

قوله صلى الله عليه وسلم: "أوتروا قبل أن تصبحوا"، نعم إن الأصل في الأمر الوجوب، فإذا جاء الصارف نزلت رتبته من الأمر إلى الاستحباب أو غيره، والقرائن هنا - الأحاديث التي في الباب - صرفت الأمر من الوجوب إلى الاستحباب، ويدل الحديث على أن الوتر واجب قبل الصبح لا على وجوب الوتر نفسه، وما قيل في هذا يقال أيضاً في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: قومي فأوترني.

رابعاً: قرائن السياق المستخدمة في المسألة:

لقد استخدمنا عدداً من قرائن السياق بأقسامها المتعددة في بحث هذه المسألة، وهي:

١- قرائن لفظية متصلة بالنص: وذلك في الأحاديث التي استدلت بها الحنفية على وجوب صلاة الوتر، وذلك في توجيه دلالات الألفاظ التي وردت بالأحاديث. مثل: زادكم صلاة، الوتر حق، أوتروا، قومي فأوترني.

٢- قرائن لفظية منفصلة عن النص: وذلك في الأحاديث التي أوردتها الجمهور للرد على الأحاديث التي استدلت بها الحنفية.

٣- قرائن حالية (غير لفظية) مقترنة بالخطاب: وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوتر على البعير، فهذه قرينة غير لفظية (وصفية)، لكنها وضحت تماماً أن الوتر ليس بواجب، وإلا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم صلاة على البعير.

٤- قرائن حالية (غير لفظية) منفصلة عن الخطاب: وهي:

أ- قاعدة لا يجوز تأخير البيان عن مقتضى الحاجة (وذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم)، كما في حديث الأعرابي الذي سأله عن الصلوات المفروضة التي عليه.

ب- إرسال معاذ إلى اليمن إذ كان ذلك في أخريات حياة النبي صلى الله عليه وسلم، مما يدل على أن ما ذكر في الحديث عن الصلوات الخمس هو آخر ما قيل في عدد الصلوات المفروضة.

هذا والله أعلم، وللحديث بقية إن شاء الله.

تصحيح المفاهيم من خلال سورة الفاتحة

عاطف التاجوري

إعداد

العظيم، سُميت بذلك لتضمنها جميع علوم القرآن، وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله عز وجل بأوصاف كماله وجلاله، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها، والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانتة تعالى، وعلى الابتغال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم، وكفاية أحوال الناكثين وعلى بيانه عاقبة الجاحدين. (تفسير القرطبي ١/١١٢).

إذن فالفاتحة تجمع معاني القرآن كله، فالخطأ في منهجها يتعلق بكل لفظة فيها، ولما كان معظم المفسرين عندما يتكلمون عن تفسير الفاتحة يتكلمون عن تفسير الاستعاذة والبسملة قبلها، فسنبتدي بالكلام عن المفاهيم الخاصة في الاستعاذة والبسملة.

الاستعاذة

كثير من الناس لا يكادون يشعرون بوجود الشيطان بينهم، ولا بوسوسته لهم، فلا يستعيذون بالله منه، في أي أمر من الأمور ولا في أي موقف من المواقف وحالهم إلا من رحم ربي كحال هذا الرجل الذي أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فقال: «إني لست بمجنون».

فعن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مفضياً قد أحمر وجهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل ألا تسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إني لست بمجنون» (البخاري، ٦١١٥).

أما عن معنى الاستعاذة فقد قال ابن كثير في تفسيره: قال الله تعالى: (خِذْ الْعُقُودَ وَأْمُرْ بِالْقُرْبَى وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُهْلِكِ ﴿٣٨﴾ وَإِنَّمَا يَرْغَبُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأعراف، ١٩٩، ٢٠٠)، وقال تعالى: (دَفْعَ يَأْتِي حَىٰ أَحْسَنَ السَّنِيئَةِ حَتَّىٰ أَتَمَّ بِمَا بِسْمِئِكَ

إِن الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِي اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، أَمَا يَعِدُ:

فلما كانت الفاتحة هي أم القرآن، وذلك للأسباب التي سنذكرها ومن أهمها أنها جمعت كل ما في القرآن.

الفاتحة أم القرآن

قال ابن كثير في التفسير: قال البخاري في أول كتاب التفسير: وسميت أم الكتاب لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة، وقيل: إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمنته. قال ابن جرير: والعرب تسمي كل جامع أمر أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع: أما، فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس، ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أما.

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله رب العالمين سبع آيات: بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي أم الكتاب، وفاتحة الكتاب» وقد رواه الدارقطني أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه أو مثله، وقال: كلهم ثقات. (عمدة التفسير ١/٤٧).

ورد ذلك أيضاً في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها أم القرآن فهي خداج - ثلاثاً - غير تام».

وقال القرطبي في تفسيره: إن جميع القرآن فيها، وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن، ومن شرفها أن الله سبحانه قسمها بينه وبين عبده، ولا تصح القرية إلا بها، ولا يلحق عمل بثوابها، وبهذا المعنى صارت أم القرآن العظيم. (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/١١٠).

وعندما ذكر أسماء الفاتحة قال (السابع) القرآن

البسمة:

فخرج من ذلك بأن كثيراً من الناس يقرءون الاستعاذة بأفواههم ولا يفهمون معناها الصحيح الذي هو الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى على هذا العدو الشيطاني الذي لا يرد عنه مصانعة ولا إحسان ولا طيب طيب الأصل لشدة العداوة بينه وبين أبينا آدم من قبل، وبالتالي بينه وبيننا إلى اليوم القيامة. وتتمثل المفاهيم الخاطئة في البسمة أن معظم الناس يقرءونها بدون فهم صحيح لمعناها، ونتيجة لذلك فلا يلتزمون هذا المعنى الصحيح في أعمالهم وأقوالهم، ومن أجل معرفة هذا المعنى الصحيح ننظر ما قاله العلماء في ذلك:

قال ابن كثير في تفسيره:

روى الإمام أحمد عن عاصم قال: سمعت أبا تميمه يحدث عن رديف النبي صلى الله عليه وسلم قال عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم. فقلت تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاضم وقال بقوتي صرعته، وإذا قلت باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب" هكذا وقع في رواية الإمام أحمد (المسند ٥/٥٩١، ٧١، ٣٦١).

وقد روى النسائي في اليوم والليلة وابن مردويه في تفسيره عن أبي المليح بن أسامة بن عمير عن أبيه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال: "لا تقل هكذا فإنه يتعاضم حتى يكون كالبيت، ولكن قل بسم الله فإنه يصغر حتى يكون كالذبابة" (رواه أبو داود ٤٩٦١).

وتستحب البسمة عند دخول الخلاء لما ورد من الحديث في ذلك وتستحب في أول الوضوء لما جاء في مسند الإمام أحمد والسنن من رواية أبي هريرة وسعيد بن زيد وأبي سعيد مرفوعاً "لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه" وهو حديث حسن ومن العلماء من أوجبها عند الذكر ههنا ومنهم من قال بوجوبها مطلقاً وكذا تستحب عند الذبيحة في مذهب الشافعي وجماعة، وأوجبها آخرون عند الذكر ومطلقاً في قول بعضهم كما سيأتي بيانه في موضعه أن شاء الله..

وهكذا تستحب عند الأكل لما في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لربيبي عمر بن أبي سلمة: "قل بسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك"

﴿وَقُلْ رَبِّ اعْوِذْ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (٣٦) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (المؤمنون: ٩٦ - ٩٨) وقال تعالى: (أَذْفَقُ بِاللَّيْلِ فِي أَحْسَنِ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا يَلْمِزُهَا إِلَّا الَّذِينَ ضَلُّوا وَمَا يَلْمِزُهَا إِلَّا ذُرِّيَةُ حَقْلٍ عَظِيمٍ ﴿٥١﴾ وَإِنَّمَا يَرْتَدُّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَرَجُّعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (فصلت: ٣٤ - ٣٦).

فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها، وهو أن الله يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه، ليرده عن طبعه الطيب الأصل إلى المادة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة؛ إذ لا يقبل مصانعة ولا إحساناً ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل؛ كما قال تعالى: (يَسِّرْ يَأْتِي مَادِمٌ لَا يَفْتَنُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا لَفَّحَ أَوْبَانِكُمْ مِنَ الْعَمَلِ) (الأعراف: ٢٧) وقال: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ الْمُحْسَبِ) (التيسير) (فاطر: ٦) وقال (فَاتَّخِذُوهُ وَذَرِّتَهُ أَوْلِيَّةً مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) (الكهف: ٥٠)، وقد أقسم للوالد إنه لمن الناصحين، وكذب، فكيف معاملته لنا وقد قال: (فبِعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين)، وقال تعالى: (فَإِذَا قرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٥١﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الْإِيكَامَاتِ وَمَنْ مَاتُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (النحل: ٩٨، ٩٩).

وروى مهلب عن عثمان بن أبي العاص أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتم على يسارك ثلاثاً قال: فعلت ذلك فأذهب الله عني. (مسلم: ٢٢٠٣).

وروت خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل. (الموطأ، ومسلم، والترمذي وقال: حديث حسن غريب صحيح).

وقال ابن كثير في تفسيره: ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنيائي. أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحتني على فعل ما نهيت عنه؛ فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله. اهـ.

ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه وكذلك تستحب عند الإجماع لما في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه أن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً".

ومن ههنا ينكشف لك أن القولين عند النحاة في تقدير المتعلق بالباء في قولك بسم الله هل هو اسم أو فعل متقاربان. وكل قد ورد به القرآن. أما من قدره بسم تقديره بسم الله ابتدائي فلقوله تعالى: «وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم» ومن قدره بالفعل أمراً أو خبراً نحو أبداً بسم الله أو ابتدأت باسم الله فلقوله تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق» وكلاهما صحيح فإن الفعل لا بد له من مصدر فلك أن تقدر الفعل ومصدره وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله أن كان قياماً أو قعوداً أو أكلاً أو شرباً أو قراءة أو وضوءاً أو صلاة فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله تبركاً وتيمناً واستعانة على الإتمام والتقبل والله أعلم. (عمدة التفسير ١/٥٥٠٥).

فمن المفاهيم الخاطئة أن تكون علاقتنا بالبسملة مجرد قراءتها عند قراءة القرآن فقط بدون فهم معناها الصحيح الذي يؤدي إلى قراءتها عند كل هذه المواضع الذي ذكرنا بعضاً منها.

معنى الحمد:

فمن من الناس الآن يحمد الله تعالى كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وتأمل ما جاء في فضل الحمد. فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم: «أن عبداً من عباد الله قال: يا رب. لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك. فعضلت بالملكين، فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى السماء، فقالا: يا ربنا، إن عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها، قال الله عز وجل، وهو أعلم بما قال عبده: ماذا قال عبدي؟ قال: يا رب، إنه قال: يا رب، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك. فقال الله عز وجل لهما: اكتباهما كما قال عبدي، حتى يلقاني فأجزيه بها». (قال أحمد شاكر في تحقيق تفسير ابن كثير عن هذا الحديث: وقد صححناه من سنن ابن ماجه (٢٨٠١) واستاده جيد، ليس مجروحاً، وقد ضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه، (٨٢٩)).

وروى مسلم من حديث أنس رضي الله عنه: أن رجلاً جاء فدخل الصف وقد حفزه النفس فقال الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال أيكم المتكلم بالكلمات فأرأى القوم فقال أيكم المتكلم بها فإنه لم يقل بأساً فقال رجل جئت وقد حفرتي النفس فقلتها فقال لقد رأيت اثني عشر ملكاً يبتدرونها أيهم يرفعها. (رواه مسلم: ٦٠٠).

والأحاديث تدور حول معنى واحد، ولتوضيح هذا المعنى يقول ابن كثير في تفسيره: الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان، ولكنهم اختلفوا: أيهما أعم، الحمد أو الشكر؟ على قولين، والتحقيق أن بينهما عمومًا وخصوصًا، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه. وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه، لأنه يكون بالقول والعمل والنية، كما تقدم، وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية، لا يقال: شكرته لفروسيته، وتقول: شكرته على كرمه واحسانه.

قلت: فمعنى هذا أن الحمد هو الثناء على الله تعالى لأنه مستحق للثناء لعظم ذاته وكمال أسمائه وصفاته. ويكون باللسان فقط، والشكر ثناء على الله لما أولا نابه من نعم ويكون باللسان والجوارح والقلب. فليس الحمد كلمة تقال باللسان فقط دون فهم صحيح معناها أو حركات تؤدي بالفم من تقبيل لليد ظاهرها وباطنها.

سأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً، وإلى لقاء آخر. وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

بعده، وبعد:

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: (المواعظ سيات تضرب بها القلوب فتؤثر في القلب كتأثير السياط في البدن، والضرب لا يؤثر بعد انقضائه كتأثيره في حال وجوده، لكن يبقى أثر التألم بحسب قوته وضعفه، فكلما قوي الضرب كانت مدة الألم أكثر، وكان كثير من السلف إذا خرجوا من مجلس سماع الذكر خرجوا وعليهم السكينة والوقار فمنهم من كان لا يستطيع أن يأكل طعاماً عقب ذلك، ومنهم من كان يعمل بمقتضى ما سمعه مدة.

أفضل الصدقة تعليم جاهل أو إيقاظ غافل، ما وصل المستنقل في نوم الغفلة بأفضل من ضربه بسياط الوعظ ليستيقظ.

إنما التأديب بالسوط من صحيح البدن ثابت القلب، قوي الذراعين، فيؤلم ضربه فيبرد، وأما من سقيم البدن لا قوة له، فماذا ينفع تأديبه بالضرب؟! كان الحسن إذا خرج إلى الناس كأنه رجل عاين الآخرة، ثم جاء يخبر عنها وكانوا إذا خرجوا من عنده كانوا لا يعدون الدنيا شيئاً.

قال بعض السلف: (إن العالم إذا لم يرد بموعظته وجه الله تعالى، زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر على الصفا).

المواعظ تريق القلوب، فلا ينبغي أن يسقي الترياق إلا طبيب حاذق معافى، فأما لذيغ الهوى فهو إلى شرب الترياق أحوج من أن يسقيه.

وغير ذي تقى يأمر الناس بالتقى

طبيب يداوي الناس وهو سقيم

يا أيها الرجل المعلم غيره

هلا تنفك كان ذا التعليم

أبدأ بنفسك فانها عن غيرها

فإذا انتهت عنه فانت حكيم

فهناك يقبل ما تقول ويقتدى

بالقول منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم.

يقول الأستاذ عبد الرحمن التحلاوي: يعتمد الوعظ من الناحية النفسية والتربوية على أمور، أهمها:

١- إيقاظ عواطف ربابية كان قد ربيت في نفس الناشئين بطريق الحوار أو العمل والعبادة والممارسة.



التربية بالموعظة

د. أحمد فريد

إعداد

بِالْحَمْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِمًّا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُبْعَثُونَ
أَمْوَالَهُمْ رِيقَةَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ
يَكْفُرْ أَكْفَارًا لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (النساء: ٣٦-٣٨).

والقرآن كله مواعظ للمتقين كما قال تعالى: (هَذَا
بَيِّنَاتٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ١٣٨).
ولقد كان وعظ النبي صلى الله عليه وسلم على
أرقى مستوى وأعلى درجة فكان يأسر بوعظه
قلوب السامعين.

وغاية الواعظ أن يصل بمن وعظه إلى الخشية
الحقيقية التي تجتمع في وجل
القلب ودمع العين، وأن يتذكروا أمور
الآخرة فكانهم يرونها رأي العين،
هكذا كان وعظ النبي صلى الله
عليه وسلم كما في حديث
العرياض بن سارية قال:
(وعظنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم موعظة بليغة وجلت
منها القلوب وذرفت منها العيون،
فقلنا: يا رسول الله كأنه موعظة
مودع فأوصنا.....) الحديث رواه
الترمذي وصححه.

وكذا في قصة حنظلة عندما
قارن بين حال قلبه في مجلس
وعظ رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعندما يشارك هذا المجلس
إلى مجالسة الزوجات والأولاد، فقال: (تكون
عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي العين،
فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد
والضيقات، نسينا كثيرًا، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: (والذي نفسي بيده! لو تدمون على
ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة
على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة، ساعة
وساعة) ثلاث مرات. رواه مسلم (٢٧٥٠).

سمات وعظ النبي صلى الله عليه وسلم:

وقد كان لوعظه (صلى الله عليه وسلم) سمات:
فمن ذلك: أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يكثر
عليهم فيملوا بل يجعلهم دائمًا متشوقين إلى
وعظه صلى الله عليه وسلم.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن رسول الله

أو غير ذلك كعاطفة الخضوع لله والخوف من
عذابه، أو الرغبة في جنته، وكذلك يربي الوعظ
هذه العواطف وينميها وقد ينشأها من جديد.

٢- الاعتماد على التفكير الرباني السليم الذي كان
الموعوظ قد ربي عليه، وهو التصور السليم للحياة
الدنيا والآخرة، ودور الإنسان أو وظيفته في هذا
الكون ونعم الله، وأنه خلق الكون والموت والحياة.

٣- الاعتماد على الجماعة المؤمنة، فالمتجمع
الصالح يوجد جواً يكون الوعظ فيه أشد تأثيراً،
وأبلغ في النفوس، لذلك جاءت معظم المواعظ
القرآنية والنبوية بصيغة الجماعة

كقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَقْرَبَ إِلَىٰ أَهْلِيهَا وَإِنَّا حَاكِمُونَ بَيْنَ النَّاسِ
أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ مَبِينٌ لِّمَنْ يَدِينُ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء: ٥٨).

وكالحديث: (وعظنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم موعظة
بليغة وجلت منها القلوب وذرفت
منها العيون فقلنا: يا رسول الله
كأنها موعظة مودع فأوصنا)
أخرجه الترمذي وصححه.

٤- ومن أهم آثار أسلوب الموعظة
تركيب النفس وتطهيرها وهو
من الأهداف الكبرى للتربية
الإسلامية، وبتحقيقه يسمو

المجتمع ويبتعد عن المنكرات وعن الفحشاء، فلا
يبغي أحد على أحد ويأتمر الجميع بأمر الله
بالمعروف والعدل والصلاح والبر والإحسان، وقد
جمعت هذه المعاني في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَمَلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْقَتْلِ
وَالنَّكَاحِ وَالَّذِي يُعْظَمُ لِعِبَادَتِكُمْ تَذَكُّرًا) (النحل: ٩٠).

وقد اشتمل القرآن الكريم على جمل مستكثرة من
المواعظ العالوية الغالية.

فمن ذلك قوله تعالى: (وَأَعِظُوا اللَّهَ وَلَا تُفْرِكُوا يَدَيْهِ
كَتِبْنَا وَأَلْوَيْنَا وَحَسَبًا وَبِذَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالنَّكَاحِ
وَالْحَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْحَارِ الْحَبِ وَالصَّاحِبِ بِالْحَنْبِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَ أَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَأَبْصَرُ سَكَتًا
مَحْسَبًا صَوْرًا ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَسْخَرُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ

**آية الوعظ أن
يصل بمن وعظه
إلى الخشية
الحقيقية التي
تجتمع في
وجل القلب
ودمع العين،
وأن يتذكروا أمور
الآخرة فكانهم
يرونها رأي العين.**

صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة بين الأيام مخافة السأم علينا) أو قال (السامة علينا).

وكان ينصح أن من فقه الرجل تقصير الخطبة وإطالة الصلاة.

ومن هديه صلى الله عليه وسلم في الوعظ أنه كان يؤثر في الصحابة رضي الله عنهم بقوة يقينه وتأثره وكان يرفع صوته ويحرك يديه كأنه منذر جيش.

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآيات يوماً على المنبر: **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ عَلَىٰ قَرِيبٍ مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ مَنَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ** **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**)

(الزمر: ٦٧). ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده

يحركها يقبل بها ويدبر:

(يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم) فرجف به المنبر حتى قلنا: ليخرن به المنبر.

يقول الدكتور عبد الله ناصح علوان: (ولا يتصف الواعظ الداعية بهذا التأثير إلا أن يكون مخلص النية، رقيق القلب، خاشع النفس، طاهر السريرة، مشرق الروح.

وفرق كبير بين داعية يتكلم بلسانه وهو متصنع بالكلام ليسبي

به قلوب الرجال، وبين داعية مؤمن مخلص مكلوم القلب على الإسلام يتكلم بنبضات قلبه ولواعج حزنه وأساه، لما آل إليه حال المسلمين فلا شك أن تأثير الثاني أبلغ والاستجابة إليه أقوى والاتعاظ بكلامه أعظم.

قال عمر بن ذر لأبيه: يا أبت ! مالك إذا تكلمت أبكيت الناس وإذا تكلم غيرك لم يبكهم؟ فقال: يا بني ليست النائحة التكلية مثل النائحة المستأجرة.

ومن هديه صلى الله عليه وسلم في الوعظ: أنه كان يستعين أحياناً بضرب الأمثال كما قال صلى

الله عليه وسلم: (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة).

ومن هديه صلى الله عليه وسلم في المواعظ: أنه كان يستعين أحياناً بالرسوم الإيضاحية، روى البخاري (في صحيحه) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (خط النبي صلى الله عليه وسلم خطأ مربعاً وخط خطأ في الوسط خارجاً

منه وخط خطأ صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: (هذا الإنسان وهذا أجله محيط به وهذا الذي هو خارج

- أي عن الخط - أمله، وهذه الخطط الصغار: الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا) وإن أخطأه كلها أصابه الهرم.

أخرجه البخاري.

ومن هديه صلى الله عليه وسلم: أنه كان يعلمهم بالدرس العملي كما في (صحيح البخاري) أن النبي صلى الله عليه وسلم، توضع أمام جمع من الناس، ثم قال: (من توضع نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه).

وصلى مرة صلى الله عليه وسلم بالناس إماماً وهو على المنبر: ليروا صلاته كلهم، ولتعلموا من أفعاله ومشاهداته فلما فرغ أقبل على الناس فقال: (يا أيها الناس إني صنعت هذا لتأتوا بي ولتعلموا صلاتي).

ومن هديه صلى الله عليه وسلم: أنه كان إذا أراد أن ينهي عن شيء فربما أخذه بيده وبين حرمة: ليكون أوقع في نفوس أصحابه.

عن علي رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حريراً بشماله وذهباً بيمينه ثم رفع بهما يديه فقال: (إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لأناتهم).

إن من أهم آثار أسلوب الموعظة: تزكية النفس وتطهيرها وهو من الأهداف الكبرى للتربية الإسلامية، وتحقيقه يسمو المجتمع ويتعد عن المنكرات، ويأتمر الجميع بأمر الله بالمعروف والعدل والصلاح والبر والإحسان.

ومن هديه صلى الله عليه وسلم في الوعظ: استعمال التكرار المفيد للترغيب أو الترهيب. يقول الأستاذ عثمان قدرى مكاسي: (وبهذا الأسلوب الواضح المستأنى، وبهذا التكرار المفيد يستوعب الصحابة الحديث فيحفظونه وتثبت أفاضه ومعانيه في العقل وتنغرس الأفكار وظلالها والألفاظ، وإيحاءاتها في النفوس، ويتمثلون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عملاً وتطبيقاً في مجال حياتهم، ثم تصل إلينا نقيبة لا شائبة فيها حية بحبوية حاملها. ومن الأحاديث التي ترى فيها صدق ما ذكرته سابقاً: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه) قالوا يا رسول الله من؟ قال: (من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما فدخل النار).

آية قشعريرة أخذتني وأنا أقرأ هذا الحديث؟، فأفاجأ بقوله صلى الله عليه وسلم: (رغم أنفه) تتكرر ثلاث مرات، وأنا بعيد عن زمان الحديث ألفاً وأربعمائة وست عشرة سنة فمادت بي الأرض.

ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، ثلاثاً: الإشراف بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور) أو: قول الزور. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكناً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت). ومن ذلك الترغيب: بيان عظم الثواب والترهيب بالتحذير من شدة العقوبة.

فمن الأول: قوله صلى الله عليه وسلم: (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل. ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله). ومن الثاني: قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة فتات) أي: نمام.

ومن ذلك: استعمال القسم لتأكيد ما يريد بيانه: كما قال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ثم أمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم). وكذا قوله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم

كثيراً). فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين وهو البكاء الذي ينتشر في الأنف بغنة.

ومن ذلك التحديد بالعدد حتى يسهل على أصحابه الحفظ وعدم تفلت شيء منهم كما قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر).

ومن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. الإمام العادل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه).

ومن ذلك: الترقى من المهم إلى الأهم. فإذا وجد العبد إنساناً تاركاً للصلاة ومسبلاً الأزار أو يتختم بالذهب، والثلاثة من المحرمات، إلا أن ترك الصلاة أخطر الثلاثة. وقد اختلف العلماء في تفسير تارك الصلاة، فعلى الداعية أن ينصح بالمداومة على الصلاة أولاً. ثم إذا كان هناك استجابة يرشد إلى ترك بقية المحرمات، لما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن قال: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه، عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم).

ومن هديه صلى الله عليه وسلم: أنه كان يخاطب الناس على قدر عقولهم.

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: أن أعرابياً بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء أو سجلاً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين). وللحديث بقية إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

ميثاق الهجرة.. وأثره في تأسيس أعظم دولة

الحلقة (٢)



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه. وبعد: فقد ذكرنا في الحلقة السابقة أنه عندما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وجد بها غير أنصاره من الأوس والخزرج يهودًا توطنوا، ومشركين مستقرين، فلم يتجه فكره إلى رسم سياسة للإبعاد والإقصاء لغير المسلمين، أو المصادرة والخصام، بل قبل- عن طيب خاطر- وجود اليهود والوثنية، وعرض على الفريقين أن يعاهداه معاهدة الند للند، على أن لهم دينهم وله دينه. وكان لهذه المعاهدة شق خاص بالمسلمين، بين الرسول صلى الله عليه وسلم فيه طبيعة الأمة المسلمة، وحدود العلاقة بين أبناء الإسلام، وقد شرحنا ذلك في الحلقة الماضية، وفي هذه الحلقة نتعرض للشق الثاني من المعاهدة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود والمشركين بالمدينة، وقبل ذلك نسوق هذا التمهيد:

جمال عبد الرحمن

اعداد

آخر، وأن المسلمين قوم لا يستريحون إلا إذا انفردوا في العالم بالبقاء والتسلط، هو مخطئ بلا أدنى شك، بل متحامل جريء.

أقول ذلك لأن بعض المستشرقين كجونتيمري وات في كتابه «محمد في المدينة» (ص ٣٠٣) أشار شبهات حول الهدف من المعاهدة التي أبرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع يهود المدينة: فيرى «وات» أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة كان حريصاً على أن يظفر بتأييد اليهود، حتى لا ينهار البنيان الفكري الذي قامت عليه رسالته، فقد كان يؤكد في البداية أن رسالته متطابقة مع الرسائل السابقة، ومن هنا كان مستعداً لأن يسمح لليهود بالبقاء على دينهم إذا اعترفوا به نبياً كانبياهم، فلما أصر اليهود على موقفهم من عدم الاعتراف بنبوته، وأخذوا يبرزون الفروق بين اليهودية والإسلام: هاجمهم الرسول واتهمهم بالتخريف وادعى أنه على دين إبراهيم.

وخطأ «وات» وغيره من المستشرقين، وعلى رأسهم بروكلمان، الأساس يتمثل في نظرتهم القاصرة إلى الأديان، فهم يدرسونها على أنها منفصلة عن بعضها،

تمهيد:

«لا شك أن اليهود في المدينة كانوا على علم بما تم بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الأوس والخزرج من اتفاق في بيعة العقبة الكبرى بمكة قبل هجرته للمدينة، ولم يكن في مقدورهم أن يمنعوا هذا الاتفاق أو يقفوا ضده، فإن القوة في المدينة كانت في يد العرب، وكانوا يستطيعون أن يدخلوا في المدينة من شاءوا دون أن يخشوا اعتراض اليهود عليهم، وكانت حالة يثرب الداخلية تتطلب عنصرًا خارجيًا يستطيع أن يوحد بين عناصرها المختلفة.

فكانت الهجرة النبوية التي قصد بها كسر القيود التي تفرض على الإيمان، وفتح نوافذ أخرى في أرض جديدة، وليست من تلك الهجرات التي تعني زحفاً على البلاد للاستيطان فيها على حساب أهلها، أو لتحقيق الثروة ثم الخروج بها. (دروس وعبر من الهجرة النبوية (ص ٧٩)، لعلي بن نايف الشحود). وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وإقامة قواعد المجتمع الإسلامي، كان من الضروري تنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أهل المدينة، من أجل توفير الأمن والسلام للناس جميعاً. (المصدر السابق ص ١٤٣).

والذي يظن أن الإسلام دين لا يقبل جوار دين

وهذا في حد ذاته من الأخطاء المنهجية؛ ذلك لأن الأديان السماوية مصدر في الأصل واحد، وهي رغم ما اعترى اليهودية والمسيحية من تحريف تلتقي في عدد من تعاليمها، ويقول الحق سبحانه وتعالى: **وَشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** (الشورى: ١٣)، فكل ما جاء به الرسل من عند الله فهو متحد المصدر، ونبينا الكريم عندما اختاره الله سبحانه وتعالى لتبليغ الرسالة الخاتمة جاء بالدين الصحيح وهو ما دعا إليه من سبقوه من الرسل، يقول الله تعالى: **وَمَا قَالَ صَاحِبُ الْمِثْقَالِ إِذْ قَالَ لِلرَّسُولِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُسَدِّدًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ وَمُبَيِّنًا لِرُسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ** (الصف: ٦)، فإذا كان هناك قدر ما من التلاقي بين رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وما دان به اليهود في المدينة، فهذا ليس لأنه صلى الله عليه وسلم تأثر به أو سرق أفكارهم، إضافة إلى أن هذا القدر من التلاقي كان ضئيلاً جداً، ولا يحتمل كل هذا التضخيم من المستشرقين.

وأما فيما يخص قول «وات» بأن الرسول أيقن من عدم اتباع اليهود له وهاجمهم واتهمهم بالتحريف وادعى أنه على دين إبراهيم، فهو كلام مردود؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان حريصاً على أن يدخل الناس كافة في هذا الدين، يهوداً كانوا أم غير ذلك، إلا أنه لم يجبر اليهود على الدخول في الإسلام، وهذا هو موقف الإسلام من أهل الكتاب خاصة، ولا مجال لزعم «وات» من أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ادعى أنه على دين إبراهيم بعد أن أخذ اليهود يبرزون الفروق بين اليهودية والإسلام، فالمعروف أن القرآن المكي أشار بوضوح إلى ارتباط الرسول صلى الله عليه وسلم بملة إبراهيم، **قُلْ إِنِّي هَدَيْتُهُ رَبِّي إِذْ كَانَ يَرْبُؤُنِي مِنِّي وَكَانَ إِذْ أَبْرَأَهُ حَنِيفًا** (الأنعام: ١٦١)، وقوله سبحانه: **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**، (التحل: ١٢٣)، ولم يكن هناك احتكاك بين محمد صلى الله عليه وسلم واليهود قبل هجرته إلى المدينة باعتراف المستشرقين أنفسهم، هذا بالإضافة إلى إشارة المولى عز وجل في كتابه الكريم إلى ارتباط الرسالة المحمدية برسالات الرسل من قبله بمن فيهم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن يحاول عليه الصلاة والسلام كسب اليهود إلى جانبه كما يدعي «وات»، ومن ذلك الآية الكريمة **وَشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَنْعَمُوا بِالذِّينِ وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِ**

(الشورى: ١٣)، والآية **قَالُوا يَا قَوْمِ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ سَمَوَاتِنَا لَنَا بَيِّنَاتٍ** (الأحقاف: ٣٠)، ولعله يتضح من هذا عدم وجود دليل وراء الزعم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أعلن في بداية عهده في المدينة أن الإسلام متطابق مع اليهودية ليكسب اعتراف اليهود بنبوته، فلما أعرضوا هاجمهم واتهمهم بالتحريف وادعى أنه على دين إبراهيم.

تأسيس دولة الإسلام خارجياً

(بين المسلمين وغير المسلمين)

أما على النطاق السياسي فقد وضع دستور المدينة (الوثيقة) بموجب معاهدات وأحلاف عقدها بينه وبين مشركي المدينة، ويهودها، وذلك بتنظيم العلاقات بين سكانها على اختلاف عقائدهم، حتى يعرف كل طرف الالتزامات المنوطة به، ولتتحدد معالم الحقوق والواجبات بين الأطراف المختلفة. لقد نصت المعاهدة على قيادة محمد صلى الله عليه وسلم لسكان المدينة النبوية كافة، مسلمين ومشركين ويهود، فأليه في القيادة يرجع الأمر كله. وما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده؛ فإن مردده إلى الله وإلى محمد رسول الله، فالخلافات الجسيمة التي يخشى من فسادها على المجتمع ترد إلى شخص واحد، ألا يعني هذا أن هذا الشخص الذي يرجعون إليه في أمورهم هو قائد «أهل هذه الصحيفة»، الذين هم أهل المدينة كافة. (السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، ص ٣٩).

كما نصت المعاهدة على تعاون أهل المدينة في رد كل اعتداء يقع عليها من الخارج، وبذلك توحدت صفوف أهل المدينة؛ وأصبح لهم هدف، هو الدفاع عن المدينة ضد كل اعتداء خارجي. كما أعلنت المعاهدة بصراحة أنه لا يجوز لمشارك من أهل المدينة أن يجير مالا لقريش، أو نفساً، وأن اليهود يعاونون المؤمنين في النفقة عليهم ما داموا محاربين، وبذلك أوشك الكفاح بين المسلمين وقريش أن يبدأ.

لقد كانت نظرتة صلى الله عليه وسلم بعيدة؛ حيث استطاع بهذا المعاهدة أن يضمن حياض اليهود ومشركي المدينة في الصراع المتوقع حدوثه بينه وبين قريش وحلفائها، وبالتالي يتفرغ للسياسة الخارجية للدولة.

لقد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يلجأ إلى المدينة ويحشد قواته فيها، ويوحد صفوف

رأينا المسلمين يفكرون جدياً في استخلاص أموالهم من قريش". (السرايا والبعوث النبوية، لبريك العمري ص ٧٤، ٧٥).

أيضاً تنص الوثيقة كما قال صلى الله عليه وسلم: «وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة (المواساة) غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن سلم المؤمن واحد (أي: لا يصالح واحد دون أصحابه، وإنما يقع الصلح بينهم وبين عدوهم باجتماع ملتهم على ذلك». (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٩٤/٢).

لا يسألم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كل غازية غزت معنا يُعقب بعضها بعضاً، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اعتبط (قتل بلا جنابة) مؤمناً قتلاً عن بيعة فإنه قود (قصاص) به، إلا أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمن عليه كافة، ولا يحل لهم إلا القيام عليه، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وأمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وأن من نصره أو آواه فعليه لعنة الله وغضبه إلى يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم.

وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم؛ إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته، وإن لليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشظنة مثل ما لليهود بني عوف..

فهذه تسع قبائل، أو تجمعات يهودية، تنص الوثيقة عليها، وتقرر لهم مثل ما لليهود بني عوف، وتضيف إلى ذلك أن مواليهم وبيطانتهم كأنفسهم.

وتقرر الوثيقة النبوية أن بينهم النصح - هم والمسلمون - على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصر والنصيحة، والبر دون الإثم، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره. (أي: الله شاهد ووكيل على ما تم الاتفاق عليه).

فهذه الوثيقة تجعل غير المسلمين المقيمين في دولة المدينة مواطنين فيها، لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات مثل ما على

سكانها على اختلاف ميولهم وأهوائهم ودياناتهم، ويجعلهم كتلة متحدة للدفاع ضد الغارات الخارجية على شكل سرايا اعتراضية كان من أهدافها ما يلي:

١- إعلان الحرب على قريش تنفيذاً لأمر الله عز وجل، وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين..
وقوله تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله..»

٢- إشعار أعداء الدولة الإسلامية الفتية بأن المسلمين أقوياء، وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم، ذلك الضعف الذي مكن قريشاً في مكة من مصادرة عقائدهم، وحررياتهم، واغتصاب ذورهم وأموالهم..

٣- استهدفت السرايا إرباك قريش وحلفائها، واضعافهم، وتحطيم معنوياتهم بضرب نشاطهم التجاري الذي يمثل عصب حياتهم، وشريان وجودهم؛ وذلك يثبت الرعب والضرع في نفوسهم بإثارتهم الدائمة، فهم يتوقعون هجوم المسلمين في كل لحظة، مما يشل تفكيرهم، فيسلبهم بذلك مبدأ المبادرة الأساسي في تحقيق أي نصر.

٤- تدريب قوات المسلمين على القتال للتحقق لهم اللياقة الكاملة اللازمة لخوض غمار المعارك الكبرى، فهم في حالة استنفار قصوى منذ بدأت السرايا الأولى، «ومن جهة أخرى جاءت هذه الهجمات أشبه بمناورات حية كان المقاتل المسلم يجس عن طريقها نبض أعدائه ويختبر إمكاناتهم الحربية، مادياً، ومعنوياً، ويمارس مزيداً من التدريب وتنمية قدراته وطاقته على الصمود».

٥- عقد المعاهدات مع حلفاء قريش التجاريين الذين تخلوا عن حلفهم القديم المسمى بالإيلاف، وبالتالي ضمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيادة هذه القبائل وعدم نصرتها لقريش حتى يتمكن المسلمون من التعرض لقوافلهم وهي مفتقرة لحماية الحلفاء..

٦- المعاملة بالمثل فكما أن قريشاً قد استولت على أموال المهاجرين في مكة، كان في الاستيلاء على قوافلهم نوع من العوض عما فقدته المهاجرون من أموال ومتاع، وبالتالي «الحصول على مورد للتموين والتسليح في أعقاب الأزمة المالية التي كان المسلمون يعانون منها في مطلع عهدهم بالهجرة»، بسبب ما تركوه من مال ومتاع في مكة فراراً يدينتهم وحفاظاً على عقيدتهم وهجرة إلى الله ورسوله "فلا عجب إذا

كَتَبَ اللَّهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلَكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَفَرَ الشَّيْطَانُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسُ أَنَّىٰ أَنزَلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِاللَّيْلِ هَبْرُونَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِن شَيْءٍ حَتَّىٰ يَقُولَ إِنَّمَا نَحْنُ قِسْطٌ فَلَئَا نَكْفُرَ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَجُلِهِ وَمَا هُمْ بِصَاحِبِينَ بِهِ مِنْ أَهْلِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُونَ مَا بُرِّئُوا مِنْهُ وَلَا يَقْتُلُهُمْ وَالْقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَّوْا بِهِ أَنسَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ، (البقرة: ١٠٠-١٠٢).

قال الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى: «آفة العهود أن يرتبط الوفاء بها بمدى المنفعة المرجوة منها، فإذا بدا أن المعاهدة المبرمة لا تحقق المطامع المبتغاة، قل التمسك بها، والتمست الفرص للتحلل منها.

وقد كان اليهود يبنون عظمتهم المادية والسياسية على تفرق العرب، قبائل متناحرة، فلما دخل العرب على الإسلام، وأخذت الحزازات القديمة تتلاشى، وتتابعت الأيام تؤكد أن الإسلام سوف يصنع من العرب أمة واحدة، استشعر اليهود القلق، وساورتهم الهموم، وشرعوا يفكرون في الكيد لهذا الدين، والترصص بأتباعه.. (فقه السيرة للغزالي بتصرف ص ١٩٥).

هنالك بدأ اليهود يفكرون من جديد في موقفهم من محمد وأصحابه لقد عقدوا معه عهدا، وكانوا يطمحون في ضمه إلى صفوفهم ليزدادوا به قوة؛ ولكنه أصبح هو أقوى منهم، وأنه ليتجه بقوته إلى المجال الخارجي، ويعمل على توسيع نطاق دعوته ونفوذه، أفيتروكه يمد سلطانه وينشر دعوته على هذا المدى الواسع، ويكتفون بالأمن في جواره أمنا يمكن لمصالحهم المادية أن تتسع؟ لعلمهم كانوا يقنعون بذلك لو أمنوا أن دعوته لا تمتد إلى اليهود ولا تفسد في عامتهم، على حين تقتضيهم تعاليمهم ألا يعترفوا بنبي من غير بني إسرائيل.

لكن رجلا من علمائهم وأخبارهم هو عبد الله بن سلام القينقاعي لم يلبث حين اتصل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- أن أسلم هو وأهل بيته وجابه اليهود بإسلامه ودعاهم إلى الإسلام، وهنا أجمع اليهود أمرهم أن يكيّدوا لمحمد وينكروا نبوته، وما أسرع أن اجتمع إليهم من بقي على الشرك من الأوس والخزرج، ومن دخل في الإسلام منهم بظاهرة جرياً وراء مغنم أو رضاً بصحبة لم يقو على مخالفتها..

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

المسلمين. (نبي الرحمة، لعبد الرحمن بن عبد الله (ص ٢٣)).

«وإن بطانة يهود كانوا أنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يتحجز على شأ جرح، وإنه من فتك، فبنفسه فتك وأهل بيته، إلا من ظلم وإن الله على أبره هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأتهم أمرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن الجار كالتنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فأنهم يصالحونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين؛ على كل أناس حصنتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو آثم، وإن الله جاز لمن بر وأتقى» (البدائية والنهاية لابن كثير ٣/٢٢٥، ٢٢٦).

وهذه الوثيقة تنطق برغبة المسلمين في التعاون الخالص مع يهود المدينة لنشر السكينة في ربوعها، والضرب على أيدي العابثين ومدبري الفتن أيا كان دينهم، وقد نصت- بوضوح- على أن حرية الدين مكفولة، فليس هناك أدنى تفكير في محاربة طائفة أو إكراه مستضعف، بل تكافقت العبارات في هذه المعاهدة على نصرة المظلوم، وحماية الجار، ورعاية الحقوق الخاصة والعامّة، واستنزل تأييد الله على أبر ما فيها وأتقاه، كما استنزل غضبه على من يخون ويفش.

واتفق المسلمون واليهود على الدفاع عن يثرب إذا هاجمها عدو، وأقرت حرية الخروج من المدينة لمن يبتغي تركها، والقعود فيها لمن يحفظ حرمتها. (فقه السيرة للغزالي (ص ١٦٤)).

ماذا بعد المعاهدة؟

قال الله تعالى: «أَوْكَلْنَا عَهْدُوهَا عَهْدًا نَبَدَّ رُبِّهَا مِنْهُمْ بَلْ أَكْرَمْتُمْ لَا تَبُوءُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ نَبَدَّ رُبِّهَا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ

قصة العمود المهتز الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإكثار من هزّه

علي حشيش

إعداد /

العسقلاني، قال حدثنا أبو نعيم عمر بن صباح، عن مقاتل بن حبان، عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله عموداً... الحديث».

وأخرج أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي في كتابه «إثبات صفة العلو» (ص ٨٥) قال: أخبرنا أبو العز محمد بن محمد بن مواهب الخراساني الأديب أنبأنا أبو الحسين بن الطيوري، أنبأنا محمد بن علي بن الفتح الحرابي، أنبأنا أبو حفص بن شاهين، حدثنا محمد بن مخلد به.

ثالثاً: التحقيق

١- محمد بن مخلد بن حفص قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/١٤٠٦/٣١٠): «محمد بن مخلد بن حفص أبو عبد الله الدوري العطار روى عنه أبو الحسن الدارقطني، وأبو حفص بن شاهين.. وآخرون.. اهـ».

٢- عبدوس بن بشر قال الحافظ في «تاريخ بغداد» (١١/١١٦/٥٨١٠): «عبدوس بن بشر بن شعيب أبو محمد، رازي الأصل، روى عنه محمد بن مخلد العطار.. وآخرون.. اهـ».

٣- الغرائب والأفراد: هذا الحديث الذي جاءت به القصة من حديث ابن عباس مرفوعاً بهذا السياق هو من الغرائب والأفراد، لذلك ذكره الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي في كتابه «أطراف

تحذير الداعية
من القصص الواهية
(الحلقة ١٧٢)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثة للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ والمتصوفة، والذي أدى إلى انتشارها واشتهارها أن هذه القصة في مصادر الحديث الأصلية عند أهل السنة، بل وذكرت هذه القصة في كتب الترغيب والترهيب التي يعتمد عليها أكثر القصاص والوعاظ بغير دراية لناهج أصحابها، وإلى القارئ الكريم التحريخ والتحقيق:

أولاً: المتن:

رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله عموداً من نور أسفله تحت الأرض السابعة، ورأسه تحت العرش، فإذا قال العبد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله اهتز ذلك العمود، فيقول الله عز وجل: اسكن، فيقول: يا رب كيف أسكن ولم تغفر لقاتلها، فيقول الله عز وجل: اسكن فإني قد غفرت لقاتلها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا من هز ذلك العمود.. اهـ».

ثانياً: التحريخ:

أخرج هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الإمام الحافظ محدث العراق أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي المعروف بابن شاهين (٢٩٧-٣٨٥هـ) في كتابه «الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك»، باب: «فضل لا إله إلا الله» الحديث رقم (٢) قال: حدثنا محمد بن مخلد بن حفص، قال: حدثنا عبدوس بن بشر حدثنا أبو عبد الرحمن عبد العزيز بن عبد الواحد

٤- وهذا التفرد له أهميته في الصناعة الحديثية؛ حيث يتبين منه أن عمر بن الصباح ليس له متابع وهو علة هذا الخبر الذي جاءت به القصة بهذا السياق، حيث إن هذا الخبر بهذا السياق تفرد به عمر بن الصباح عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس مرفوعاً.

٥- ولقد أخرج هذا الخبر الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٦٦/٣) من طريق الدارقطني، ثم نقل قول الدارقطني في التفرد، ثم بين العلة فقال: «قال الدارقطني: تفرد به عمر بن الصباح. قال ابن حبان: عمر يضع الحديث على الثقات».

تصحيح

ملحوظة مهمة: وقع عند الإمام ابن الجوزي رحمه الله تصحيح في إسناد حديث عمر بن الصباح عن «مقاتل بن حبان» صحف فقيل: عن «مقاتل بن حبان» أي: صحفت الباء باءً. ولعله من النقلة، ومن الطبع، لكن وجدته أيضاً وقع عند الإمام السيوطي في «اللائئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (٣٤٣/٢) عند ذكره لهذا الحديث عن الدارقطني.

بل ولا يوجد فيمن روى عنهم عمر بن الصباح ما يسمى «مقاتل بن حبان» يتبين ذلك من «تهذيب الكمال».

٦- قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٤٨٤٣/٩٥/١٤): «عمر بن الصباح بن عمران التميمي، أبو نعيم الخراساني السمرقندي روى عن مقاتل بن حبان.. وآخرين، ثم قال: «قال إسحاق بن راهويه: أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير- يعني: في البدعة والكذب: جهم بن صفوان، وعمر بن الصباح، ومقاتل بن سليمان».. اهـ. وقال أبو الفتح الأزدي: «عمر بن الصباح كذاب».. اهـ.

٧- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٦١٤٧/٢٠٦/٣): «عمر بن صبح الخراساني أبو نعيم عن قتادة ويزيد الرقاشي، وعنه: عيسى بن موسى غنجان، ومحمد بن يعلى زنبور، وجماعة من المجاهيل ليس بثقة ولا مأمون، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال الأزدي: كذاب».. اهـ.

٨- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين»

الغرائب والأفراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام الدارقطني» (١٩١/٣) والذي منهجه فيه:

أ- ترتيب كتاب الدارقطني في الأفراد على مسانيد الصحابة رضي الله عنهم، وبدأ بمسانيد العشرة المبشرين بالجنة.

وهذا ما بينه الإمام الحافظ أبو الفضل المقدسي في «المقدمة» (٤٣/١) فقال: «لما دخلت بغداد في أول رحلتي إليها، وذلك في سنة سبع وستين وأربعمائة، كنت مع جماعة من طلاب الحديث في بعض المساجد تنتظر شيخنا فوقف علينا أبو الحسن أحمد بن الحسن المقرئ وكيل القضاة ببغداد، فقال: «يا أصحاب الحديث اسمعوا ما أقول لكم، فأنصتوا إليه، فقال: كتاب الدارقطني في الأفراد غير مرتب فمن قدر منكم على ترتيبه أفاد واستفاد، فوقع إذ ذاك في نفسي ترتيبه إلى أن يسهل الله عز وجل ذلك في سنة خمسمائة...» اهـ. قلت: انظر إلى علو الهمة والحرص على التصيحة، ولو مرت عليها السنون يتبين ذلك بالنظر إلى مولده ووفاته (٤٤٨-٥٠٧هـ).

ب- ذكر طرف الحديث وهو الجزء من متنه الدال على بقيته في مسند صاحبه.

هـ- ذكر قول الحافظ الدارقطني عقب الحديث والذي به يستبين سبب تفرد.

قلت: وهذا الذي ذكرناه هو من أهم أهداف هذه السلسلة في بيان مناهج المحدثين والصناعة الحديثية في علم الحديث التطبيقي.

تطبيق المنهج

أ- وهذا هو منهج الإمام الحافظ أبي الفضل المقدسي عند ذكره حديث القصة، فقد أورده في «مسند ابن عباس من رواية الضحاك بن مزاحم عنه» (٢٤٠٥هـ).

ب- ثم ذكر طرف الحديث فقال: حديث: «إن الله عز وجل عموداً...» الحديث.

ج- ثم نقل عن الدارقطني قوله في سبب إخراجها لهذا الحديث في الأفراد قال: «تفرد به عمر بن الصباح عن مقاتل بن حبان عنه».

قلت: قوله: «عنه» أي: عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس مرفوعاً.

بن الصبح الوضاع الكذاب تضرد به من حديث ابن عباس.

رابعاً: طريق آخر من حديث أبي هريرة

وحتى لا يتوهم البعض أن هذا الطريق شاهد لحديث ابن عباس الذي تضرد به عمر بن صبح سنبين حقيقة هذا الطريق من حديث أبي هريرة سنداً ومتناً.

١- متن القصة من حديث أبي هريرة:

زوي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تبارك وتعالى عموداً من نور بين يديه، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله اهتز ذلك العمود فيقول الرب جل جلاله اسكن، فيقول: كيف أسكن ولم تغضرقائلها، فيقول الله عز وجل إنني قد غفرت له فيسكن».

ملحوظة: يتبين بالمقارنة بين الطريقتين اختلاف السياق:

أ- فسياق حديث ابن عباس فيه بيان لأسفل العمود ورأسه، فأسفله تحت الأرض السابعة ورأسه تحت العرش، وهذا لا يوجد في حديث أبي هريرة.

ب- وسياق حديث ابن عباس فيه ذكر الشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأما حديث أبي هريرة فاقصر على ذكر كلمة التوحيد «لا إله إلا الله».

ج- وسياق حديث ابن عباس فيه أمر النبي صلى الله عليه وسلم: «أكثرُوا من هز ذلك العمود» وهذا لا يوجد في حديث أبي هريرة.

قلت: وقد لا يدرك أهمية هذه المقارنة من لا دراية لهذا الفن، فالمقارنة بين السياقات عند تعدد الطرق مهم جداً عند إقامة دعوى التضرد.

د- يتبين ذلك من قول الحافظ ابن حجر في كتابه «النكت على كتاب ابن الصلاح» (٢/٧٠٨) ط (الجامعة الإسلامية) النوع السابع عشر «معرفة الأفراد»: «حيث قال: «وقد يطلقون تضرد الشخص بالحديث ومرادهم بذلك تضرده بالسياق لا بأصل الحديث».

قلت: فأيراد طريق حديث أبي هريرة لا ينفي دعوى التضرد في حديث ابن عباس الذي أخرجه الإمام الدارقطني في كتابه «الأفراد»، وبين ذلك

(٢/٨٨): «عمر بن صبح، يروي عن قتادة، ومقاتل بن حيان، روى عنه العراقيون كان ممن يضع الحديث على الثقات، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب».

قلت: إذن الحديث موضوع.

قال الحافظ في «شرح النخبة» (ص ٤٤): «الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع».

قلت: ولقد بين ذلك الإمام السيوطي في «التدريب» (١/٢٧٤) النوع (٢١) قال: «الموضوع هذا الكذب المختلق المصنوع».

ثم بين رتبته فقال: «هو شر الضعيف وأقبحه».

ثم بين حكمه فقال: «تحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقروناً ببيان وضعه».

٩- قال الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٥/٢٤): (٢٣٠/١١٩٧):

أ- «عمر بن صبح بن عمران التميمي يكنى أبا نعيم، منكر الحديث عن مقاتل بن حيان وغيره».

ب- ثم قال: حدثنا الجنيد، حدثنا البخاري، حدثني يحيى، عن علي بن جرير قال: سمعت عمر بن صبح يقول: «أنا وضعت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر أحاديث من مناكيره، ثم قال: ولعمر بن صبح غير ما ذكرت من الحديث، وعامة ما يرويه غير محفوظ لا متناً ولا إسناداً».

١٠- وقال الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٧/٤٠٨): «عمر بن الصبح بن عمران التميمي العدوي أبو نعيم الخراساني السمرقندي، قال البخاري في التاريخ الأوسط: حدثني يحيى

اليشكري عن علي بن جرير، سمعت عمر بن صبح يقول: أنا وضعت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم».

١١- قال الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن ابن الإمام أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/١١٦): «سمعت أبي يقول: «عمر بن صبح السمرقندي هو منكر الحديث».

قلت: بهذا التحقيق تصبح قصة «العمود المهتز الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاكثار من هذه» قصة واهية موضوعة خبرها آفته عمر

عبد الله بن أبي عمرو المدني يُدلسونه لوهنه، روى عن عبد الله بن أبي بكر، نسبه ابن حبان إلى أنه يضع الحديث وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه، وقال الدارقطني: حديثه منكر. ثم ذكر الحافظ الذهبي أحاديث منكري له منها هذا الحديث في قصة: «اهتزاز العمود».

٢- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٦/٢): «عبد الله بن أبي عمرو الغفاري روى عنه سلمة بن شبيب، كان ممن يأتي عن الثقات المقلوبات، وعن الضعفاء الملققات».. اهـ.
ثم ذكر له حديث أبي هريرة في اهتزاز العمود، قال حديث موضوع.

٣- قال الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (١٢٠/٥): «عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري قال أبو داود: شيخ منكر الحديث، وقال الساجي منكر الحديث، وقال الحاكم: روى عن جماعة من الضعفاء أحاديث موضوعة لا يرويهها غيره».. اهـ.

٤- قال الحافظ العقبلي في «الضعفاء الكبير» (٧٨٢/٢٣٣/٢): «عبد الله بن إبراهيم الغفاري كان يغلّب على حديثه الوهم».. اهـ.

٥- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٨٩/٤) (١٠٠٣/٣٦): «عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري مدني يكنى أبا محمد ثم أخرج له خمسة عشر حديثاً من منكريه، ثم قال: وعامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليه».. اهـ.

قلت: وفي هذه الدراسة من الإمام الحافظ ابن عدي للمتون في أكثر من ستين سطراً، ثم يحكم على الراوي بحكم يخرج من مرتبة الاحتجاج، بل يخرج من مرتبة المتابعات والشواهد، بل يجعل الراوي في مرتبة الرد والترك، فهذا الطريق لا يزيد القصة إلا وهناً على وهن.

فائدة: وفي هذا رد على مزاعم المستشرق شاخت: «ما ادعاه- جهلاً وبهتاناً- بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي، أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي، وهو نقد المتن».. اهـ. **كُرِّتَ كَلْبَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ بَوَّلُوا إِلَّا كَلْبًا** (الكهف:٥).

هذا ما وقفتني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

الحافظ أبو الفضل المقدسي في كتابه «أطراف الغرائب والأفراد للدارقطني»، كما بينا هذا التفرّد آنفاً، ولذلك قال الحافظ ابن حجر في «النكت على ابن الصلاح» (٧٠٩/٢): «وإنما يحسن الجزم بالأفراد عليهم حيث لا يختلف السياق أو حيث يكون المتابع ممن يعتبر به لاحتمال أن يريدوا شيئاً من ذلك بإطلاقهم».. اهـ.

م- قال الإمام السخاوي في كتابه «فتح المغيب» (٤٦/٢): «إنما يحسن الجزم بالتعقب في دعوى الضردية؛ حيث لم يختلف السياق، أو يكون المتابع ممن يعتبر به لاحتمال إرادة شيء من ذلك بالإطلاق».. اهـ.

قلت: انظر إلى قول الحافظ السخاوي وانطباقه تمام الانطباق على قول شيخه الحافظ ابن حجر.

خامساً: تطبيق هذه القاعدة على حديث أبي هريرة

١- اختلاف السياق؛ ولقد بينا آنفاً اختلاف سياق حديث ابن عباس عن حديث أبي هريرة في ثلاث جمل ولم يتفقا إلا في المعنى بالنسبة للاهتزاز.

٢- قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٣٢): «وان وجد متن يروي من حديث صحابي أخريشبهه في اللفظ والمعنى أو في المعنى فقط؛ فهو الشاهد».. اهـ.

٣- وهذا الشاهد وهو حديث أبي هريرة لا يصلح للمتابعات ولا الشواهد كما نبينه من التحقيق.

سادساً: التحقيق

حديث أبي هريرة أخرجه البزار في «مسنده» (٨٠٦٥) قال: «حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو، حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن المنكدر، عن صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله تعالى عموداً من نور».. الحديث.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٦٤/٣) من طريق عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري به، وقال: «غريب من حديث صفوان تضرد به ابن المنكدر».. اهـ.

قلت: وعلته عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو.

١- قال الإمام الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤١٩٠/٣٨٨/٢): «عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو

قراءات العقل والنقل والنقل على حمل صفات الله (الشمسية) و(الشمسية) على ظاهرهما دون الجواز



قراءات العقل والنقل ، على أن ظاهر النصوص دالة على أن معية الله تعالى هي علمه بخلقه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... ويعد:

فمن المناسب - بعد أن أقمنا في الحلقة السابقة من الأدلة على إثبات صفة العلو والوقية لله تعالى، ما

به تقام الحجة - أن تذكر بأنه مع جملة هذه النصوص لا يتأتى ولا يستقيم بحال: ما جنح إليه الحلولية

ومتكرو صفة العلو من حمل صفتي المعية والقرب لله على حلولية ذاته في الأشياء-

د . محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

تأثروا بكلام الجهمية والمعتزلة. بأدلة العقل والنقل:

وفي رد كل ذلك وتفنيده بأدلة العقل يقول الأشعري في كتاب الإبانة ص ٨٣، ٨٤: "قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قول الله تعالى: (الَّذِينَ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوُوا) (طه / ٥) أنه استولى وملك وقهر، وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون مستواً على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان هذا كما ذكره كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة، لأن الله قادر على كل شيء... فلو كان الله مستواً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو تعالى مستواً على الأشياء كلها، لكان مستواً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقدار، لأنه قادر على كل هذه الأشياء مستواً عليها، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها لم يجوز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستواً على الحشوش والأخيلية، ولم يجوز أن يكون الاستواء على العرش: الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها.. ويقال لهم: (إذا لم يكن مستواً على العرش بمعنى يختص العرش دون غيره، وكان الله في كل مكان، فهو تحت الأرض.. وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه والسماء فوق الأرض، ففي هذا ما يلزمكم أن تقولوا: إن الله تحت التحت، والأشياء فوقه، وأنه فوق الفوق والأشياء تحته)، وفي هذا ما

تكون ظاهرهما المدلول عليه بقراءات الشرع والمفهومة من سياق النصوص: دال على أنهما قرب رحمة ومعية علم أو علم وكلاءة، والا لو كان تعالى بذاته "في كل مكان لكان في بطن الإنسان وفمه وفي الحشوش، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق فيها ما لم يكن، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى خلفنا ويميننا وشمالنا، وهذا ما أجمع المسلمون على خلافه وعلى تخطنه قائله... كذا ذكره العلامة القاضي أبو بكر الباقلاني ت ٤٠٣ في كتابه الإبانة، فيما نقله عنه الحافظ الذهبي في العلو ص ١٧٤ والألباني في مختصره ٢٥٨.

تقرير مذهب أبي الحسن الأشعري لصفة الوقية، وبيان أن لازم إنكار المتكلمة لها: مخالفة مذهبه والقول بالحلولية وما عليه الجهمية:

ولقد حكى الأشعري مقولة الجهمية في (الحلول والادعاء أنه تعالى في كل مكان) عن بعض المعتزلة والتي تبعها فيها المتكلمة، وتبرأ منها في (الإبانة) وفي (مقالات الإسلاميين)، فذكر في الأول منهما ص ٨٤ ما نصه: "وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله تعالى في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخيلية، وهذا خلاف الدين، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.. كما ذكر في المقالات ص ١٥٧ أن المعتزلة الذين طالما ارتبط اسمهم باسم الجهمية، اختلفوا "في ذلك، فقال قائلون: (البارئ بكل مكان) بمعنى أنه مدبر لكل مكان.. وقال قائلون: (البارئ لا في مكان بل هو على ما لم يزل عليه)، وكان مما ذكره عن الجهمية ص ٢٨٧ بنفس المصدر قول بعضهم: "إن الله بكل مكان". الأشعري يفند كلام مدعي الانتساب إليه ممن

يجب أنه تحت ما هو فوقه وفوق ما هو تحته، وهذا هو المحال المتناقض.. ثم راح - رحمه الله - يسوق من أدلة النقل ما به تقام الحجة.

ويقرر مذهب أهل السنة والحديث في إثبات وتفسير صفات (الفوقية) و(القرب) و(المعية)؛ وللأشعري في (مقالات الإسلاميين) ص ٢٩٠ وبعد أن ذكر فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم، قوله عن (جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة): "الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله وما رواه الثقات عن رسول الله، لا يرذون من ذلك شيئاً.. وأن الله على عرشه كما قال: (الرحمن على العرش استوى).. وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: (وَمَنْ أَرَادَ إِلَهُ مِنْ حَيْلِ الْوَرِيدِ) (ق/١٦)" إلى أن قال: "فهذا جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه ويكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب".

ويخلص الأشعري في كتابه الإبانة ص ٢١ إلى أن الله تعالى "فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد" .. بل ويسوق رحمه الله الإجماع على ذلك فيقول في (رسالة أهل الثغر) ص ٢٣٢ وما بعدها، ما نصه: "وأجمعوا - يعني: أهل السنة - على أنه عز وجل.. فوق سماواته على عرشه دون أرضه.. وأنه يعلم السر وأخفى من السر، ولا يغيب عنه شيء في السماوات والأرض حتى كأنه حاضر مع كل شيء، وقد دل الله على ذلك بقوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (الحديد/ ٤)، وفسر ذلك أهل العلم بالتأويل: أن علمه محيط بهم حيث كانوا" .. هكذا يكون الجمع في الإثبات بين صفات الفوقية والقرب والمعية، فيتصادق صريح العقل مع صحيح النقل ولا يتصادمان.

ومن المناسب - ونحن نتكلم عن مذهب سلف الأمة وعلى رأسهم أبو الحسن الأشعري الذي لا يختلف عليه اثنان - أن ننوه إلى أنه قد أن الأوان لأن يجتمع سنة العالم وعلى رأسهم مصر والسعودية على كلمة سواء، تكون نقطة بدايتها،

صحيح الاعتقاد وما استقر عليه أمر الأشعري ت ٣٢٤ في كتابه (الإبانة) الذي هو أرسخ وأعمق تراثية من كتب علماء الكلام من نحو التفازاني ت ٦٩٢، لاسيما في ظل هذه الأجواء المضغمة بالحب والإخاء ورغبة خادم الحرمين الشريفين في إعادة ترميم الجامع الأزهر لاستكمال رسالته المنوطة به على أتم وجه، وبخاصة مع ما أشار إليه فضيلة شيخ الأزهر من أن هذا الأمر من قبل خادم الحرمين "يعكس النهج الكريم الذي يتبناه في ترسيخ مفهوم وسطية الإسلام وسماحته، وهو النهج نفسه الذي يتبناه الأزهر ويسير عليه منذ أكثر من ألف عام" .. إذ ليس أبقى ولا أنفع ولا أجدى لاصطفاف الأمة، من وحدة المعتقد وسلامته، وبخاصة ما تعلق من ذلك بقضايا: (تأويل الصفات) و(تقديم العقل على النقل عند التعارض) لمن يديه، و(الزعم بأن جنس العمل ليس داخلاً من مسمى الإيمان)، بل لا سبيل لتحقيق وحدة الكلمة والقضاء على ظاهرة التكفير وسائر مظاهر التطرف والتشردم إلا بجمع الأمة على عقيدة صحيحة.

من أدلة النقل وأوجه دلالتها على إثبات صفة (المعية) بنوعها لله تعالى:

ومن الأدلة على إثبات المعية العامة من غير ما ذكرنا في آيتي الحديد والمجادلة، ما جاء في قوله تعالى: (يَسْتَحْفَظُونَ مِنَ اللَّهِ وَلَا يَسْتَحْفَظُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُ لِمَا لَا رَيْبَ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَحْكُمُونَ حَكِيمًا) (النساء/ ١٠٨)، والقول فيها هو نفس ما قيل ما في سابقتيها، من أن الله تعالى يائن من خلقه وهو معنا بعلمه، تكون ذاته سبحانه فوق عرشه بلا حد ولا كيف وعرشه فوق سماواته، وأن هذا ما كان عليه النبي والصحابة، وما أجمع عليه تابعيهم بإحسان.

أما أدلة المعية الخاصة، فنذكر من أدلتها قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة/ ١٥٣)، وقوله: (وَإِنَّمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ) (البقرة/ ١٩٤)، وقوله: (قَالَ فَاصْبِرْ إِنَّ مَعَكَ الْغَنَاءَ) (آل عمران/ ٨١)، وقوله: (وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ) (المائدة/ ١٢)، وقوله: (إِذْ يُبَيِّنُ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنْ مَعَكُمْ مَبِيتُنَا اللَّيْلِ) (النزال/ ١٢)، وقوله عن النبي وصاحبه أبي بكر: (أَلَا بَكَرُ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ

الله مَعَا) (التوبة/ ٤٠)، وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ) (النحل/ ١٢٨)، وقوله: (قَالَ لَا تَحْقَقَ إِلَيَّ مَعَكُمْ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ) (طه/ ٤٦)، وقوله: (قَدْ كَلَّا فِي مَن رَّبِّي سَتِيحِينَ) (الشعراء/ ٦٢)، وقوله: (وَلَا يَأْتِي اللَّهَ مَعَهُ الْمَنِينُ) (العنكبوت/ ٦٩)، وقوله: (لَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا إِنْ قُتِلْتُمْ كُنتُمْ شَهِيدًا وَالَّذِينَ قُتِلُوا مِنْكُمْ كُنتُمْ شَهِيدًا) (محمد/ ٣٥).. ومما ورد في السنة بهذا الخصوص: ما أخرجه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني.. الحديث).. إلخ.

فهذه النصوص من الآيات والأحاديث وما جاء على شاكلتها، بمعونة السياقات وقرائن الأحوال، لا يصلح حمل المعية فيها إلا على النحو الذي ذكرنا، جمعاً بينها وبين النصوص الدالة على عموم معيته تعالى هذا من جانب، وبينها وبين النصوص الدالة على فوقيته تعالى وعلوه والمصرحة بذلك من جانب آخر.. على أن هذه المعية والتي من لوازمها النصر والتأييد والحفظ والمعونة والكلاءة، سميت خاصة لأنها تخص أنبياء الله وملائكته وأوليائه دون غيرهم من الخلق، على ما أفاده قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ بُرُوقَهُ فِي الْسَمَاءِ وَالَّذِينَ قُتِلُوا مِنْكُمْ كُنتُمْ شَهِيدًا) (الأنفال/ ٦٢)، وقوله: (تَحْقُقُوا كَيْفَ تَحْقُقُونَ) (الأنفال/ ٢٦)..

يقول الشوكاني في تحفة الذاكرين ص ١١ تعليقاً على الحديث السابق: "فيه تصريح بأن الله مع عباده عند ذكركم له، ومن مقتضى ذلك أن ينظر إليهم برحمته، ويمدهم بتوفيقه وتسدده، فإن قلت: هو مع جميع عباده كما قال: (وهو معكم أينما كنتم) وقوله: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم.. الآية)، قلت: هذه معية عامة، وتلك معية خاصة حاصلة للذاكر على الخصوص بعد دخوله مع أهل المعية العامة. وذلك يقتضي مزيد العناية ووقور الإكرام له والتفضل عليه، ومن هذه المعية الخاصة ما ورد في كتابه العزيز من كونه مع الصابرين، وكونه مع المتقين، وما ورد هذا المورد في الكتاب العزيز أو السنة، فلا منافاة بين إثبات المعية الخاصة وإثبات المعية العامة" اهـ.

وقد نص على تقسيم المعية إلى خاصة وعامة،

عدد غفير من أئمة العلم وعلى رأسهم وكما رأينا: إمام المذهب أبو الحسن الأشعري، وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية، ومما أورده رحمه الله في هذا الصدد، قوله في مجموع الفتاوى ١١ / ٢٤٩، "لفظ (مع) جاء في القرآن عامة وخاصة، فالعامة في هذه الآية - آية الحديد - وفي آية المجادلة، حيث افتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم، ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل: (هو معهم يعلمه)، وأما المعية الخاصة ففي قوله تعالى: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)، وقوله موسى: (إني معكما أسمع وأرى)، وقوله: (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) يعني: النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه، فهو مع موسى وهارون ودون فرعون، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه. ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين.. وسيأتي ذكر المزيد من أقوال أئمة السلف في هذا. والادعاء بأن ذلك تأويل، ادعاء باطل.. إذ لا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره، وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن، أن يقول: إن حقيقة معية الله لخالقه تقتضي أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم، أو شبيهة بمعيتهم. فضلاً عن أن تستلزم ذلك، فالقصر - مثلاً - آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر.. وإذا كانت المعية متحققة بهذا في حق المخلوق، ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع علوه، أولى.

قرائن اللغة على أن المعية في ظاهرها

معية علم أو علم وكلاءة،

وفي رد من ادعى أن ذلك تأويل يقول الإمام ابن قدامة المقدسي في كتابه (ذم التأويل) ص ٥٥: "فإن قيل: قد تأولتم آيات وأخباراً، فقلتم في قوله تعالى: (وهو معكم أينما كنتم)، أي: به (العلم)، ونحو هذا من الآيات والأخبار، فيلزمكم ما لزمنا، قلنا: نحن لم نتأول شيئاً وحمل هذه الألفاظ على هذه المعاني ليس بتأويل، لأن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره، وهذه المعاني هي الظاهرة من هذه الألفاظ، بدليل أنه المتبادر إلى الأفهام منها، وظاهر اللفظ هو ما سبق إلى الفهم منه، حقيقة

مع قوله: (الرحمن على العرش استوى) ومع قوله: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)؟ وكيف يصعد إليه شيء هو معه، أو يرفع إليه عمل هو عنده، وكيف تعرج الملائكة والروح إليه يوم القيامة؟.. ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم وما ركبت عليه خلقتهم من معرفة الخالق، لعلموا أن الله هو العلي وهو الأعلى، وأن الأيدي ترتفع بالدعاء إليه.. والأمم كلها عرييها وعجميها تقول: (إن الله في السماء) ما تركت على فطرها.. اه. بتصرف.

ومما أفاده الشيخ حكيم، في شرح (سلم الوصول ١ / ٨٧، ١٥٤): أنه تعالى لا ضد له، ولا شريك له في إلهيته وربوبيته ولا متصرف معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيه له ولا نظير له في شيء من أسمائه وصفاته.. وهو الذي كل معاني العلو ثابتة له، فعلوه علو قهر إذ لا مغالب له ولا منازع، وكل شيء تحت سلطان قهره، كما أنه علو شأن لكونه المتعالي عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، فقد تعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل.

كذا ثابت له بالكتاب والسنة واجماع الملائكة والأنبياء والمرسلين وأتباعهم على الحقيقة من أهل السنة والجماعة، العلو والوقية.. فهو جل جلاله كما أتى عن نفسه مستو على عرشه عال على خلقه بائن منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه منهم خافية، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصى، والفطر السليمة والقلوب المستقيمة مجبولة على الإقرار بذلك لا تنكره.. ولا منافاة بين قربه وبين علوه، فإنه المتصف في دنوه بجميع معان العلو ذاتاً وقهراً وشأناً، فيدنو تعالى من خلقه بكيفية لا يعلمها إلا هو كيف يشاء، وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة وعشية وغير ذلك كيف يشاء، ويأتي لفصل القضاء بين عباده كيف يشاء، وليس ذلك منافياً لوقيته ولا لاستوانه على عرشه فإنه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.. وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث، والحمد لله رب العالمين.

كان أو مجازاً، ولذلك كان ظاهر الأسماء العرفية المجاز دون الحقيقة، كاسم (الراوية) و(الظعينة) وغيرهما من الأسماء العرفية، فإن ظاهر هذا: المجاز دون الحقيقة، وصرها إلى الحقيقة يكون تأويلاً يحتاج إلى دليل.. وكذلك الألفاظ التي لها عرف شرعي وحقيقة لغوية كالوضوء والطهارة والصلاة والزكاة والحج، إنما ظاهرها: العرف الشرعي دون الحقيقة اللغوية..

وإذا تقرر هذه فالمتبادر إلى الفهم من قولهم: (الله معك)، أي: بالحفظ والكلاءة، ولذلك قال الله تعالى فيما أخبر عن نبيه: **(إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)** (التوبة / ٤٠)، وقال موسى: **(إِنِّي مَعَكُمْ أَنْتُمْ وَرَأَى)** (طه / ٤٦)، ولو أراد: أنه بذاته مع كل أحد، لم يكن لهم بذلك اختصاص، لوجوده في حق غيرهم كوجوده فيهم، ولم يكن موجبا لنفي الحزن عن أبي بكر ولا علة له، فعلم أن ظاهر هذه الألفاظ هو ما حملت عليه، فلم يكن تأويلاً..

ويقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٥ / ١٠٣: "إن لفظ (مع) في لغة العرب لا تقتضي أن يكون أحد الشينين مختلطاً بالآخر، وهي إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب ماسة أو محازاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت المقارنة على ذلك المعنى.. ولفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع، واقتضت في كل موضع أموراً لم تقتضها في الموضوع الآخر، وذلك بحسب اختلاف دلالتها في كل موضع" .. كذا بما يعني أن ظاهر المعية المتبادر إلى الذهن بحق الخالق وعلى ما تقتضيه لغة لعرب، لا يحمل بحال معاني الحلول على ما يستلزمه كلام المتكلمة ويدعيه غلاة الصوفية.

ومن جليل ما قاله العالم اللغوي والإمام الحافظ الأديب ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٢٣٩، ٢٤٠: "نحن نقول في قوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم): أنه معهم بالعلم بما هم عليه، كما تقول للرجل - وجهته إلى بلد شاسع ووكلته بأمر من أمورك -: (احذر التقصير والإغفال لشيء مما تقدمت فيه إليك، فإني معك)، تريد: أنه لا يخفى عليّ تقصيرك أو جدك.. وكيف يسوغ لأحد أن يقول: إنه سبحانه بكل مكان على الحلول فيه

باب الفقه

الركوع

(تعريفه، حكمه،
حكيمته، الاطمئنان فيه،
صفته، ما يقال فيه)

إدراك الركعة به

الجلسة الثالثة

د. حمدي طه

إعداد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
فما يزال الحديث متصلاً عن أحكام الركوع، ونقول وبالله تعالى التوفيق:

هل يجوز الدعاء في الركوع؟

بواب البخاري علي ذلك (باب الدعاء في الركوع) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا ويحمدك اللهم اغفر لي.
قال ابن حجر: ترجم بعد هذا بأبواب التسبيح والدعاء في السجود، وساق فيه حديث الباب، فقيل: الحكمة في تخصيص الركوع بالدعاء دون التسبيح - مع أن الحديث واحد - أنه قصد الإشارة إلى الرد على من كره الدعاء في الركوع كما لك، وأما التسبيح فلا خلاف فيه، فاهتم هنا بذكر الدعاء لذلك. وحجة المخالف الحديث الذي أخرجه مسلم من رواية ابن عباس مرفوعاً وفيه: فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم، لكنه لا مفهوم له، فلا يمتنع الدعاء في الركوع كما لا يمتنع التعظيم في السجود. وظاهر حديث عائشة أنه كان يقول هذا الذكر كله في الركوع وكذا في السجود. (فتح الباري ١٨١/٣).

إدراك الركعة بالركوع:

هذه المسألة من المسائل التي يكثر السؤال عنها وكذا الجدل حولها حتى اتخذها البعض وسيلة للقدح في صاحب الرأي المخالف، لذلك سنحاول عرض آراء العلماء في هذه المسألة دون التعرض لقول بشيء في انتقاص قدر لأصحابه.
اختلف أهل العلم فيما يدرك به المسبوق الركعة مع الإمام على ثلاثة أقوال:
القول الأول: أن الركعة تُدرك بإدراك الركوع مع الإمام، وهذا قول جمهور أهل العلم سلفاً وخلفاً كالأئمة الأربعة وغيرهم. (التمهيد لابن عبد البر ٧٣/٧).

واستدل الجمهور على ما ذهبوا إليه بما يلي:

الدليل الأول: حديث أبي بكر - رضي الله عنه - أنه دخل المسجد، والنبي صلى الله عليه وسلم راكع فركع دون الصف، ثم مشى إلى الصف، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته قال: «أيكم الذي ركع دون الصف، ثم مشى إلى الصف؟ فقال أبو بكر: أنا يا

رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: زادك الله حرصاً ولا تعد.. أخرجه البخاري.

ووجه الاستدلال: أن الصحابة - رضي الله عنهم - كان مستقراً عندهم أن الركوع تدرك به الركعة، وأيضاً: فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر أباً بكرة بإعادة الصلاة فيدل على أنه أدرك الركعة. (انظر: فتح الباري ١٥٦/٢ بتصرف).

وأجاب المخالف عن حديث أبي بكرة فقالوا: إنه لا حجة لهم فيه لأنه ليس فيه اجتزاء بتلك الركعة وأنه لم يقضها فليس فيها ما يدل على ما ذهبوا إليه؛ لأنه كما لم يأمره بالإعادة لم ينقل إلينا أنه اعتد بها. والدعاء له بالحرص لا يستلزم الاعتداد بها؛ لأن الكون مع الإمام مأمور به سواء كان الشيء الذي يدركه المؤتم معتداً به أم لا، فسقط الاستدلال بالحديث. (ابن حزم في المحلى ٣٨٨/٢ والشوكاني في نيل الأوطار ٢٣٩/٢).

ويمكن الجواب عنه: بأنه ليس فيه ما يدل على أنه قضاه بل فيه ما يدل على أنه لم يقضها. فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما قضى صلاته: أيكم الذي ركع دون الصف فأجاب أبو بكرة، وهذا يدل على أنه سلم معه.

الدليل الثاني: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جئتم ونحن سجد فاسجدوا ولا تعدوها شيئاً. ومن أدرك الركعة فقد أدرك الصلاة». أخرجه أبو داود وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه بلفظ: «من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدركها قبل أن يقيم الإمام صلبه».

ووجه الاستدلال: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر من جاء إلى الصلاة والإمام ساجداً أن يسجد معه، لكنه لا يحتسب تلك الركعة، وإن أدركه في الركوع دخل معه واحتسب تلك الركعة والمراد به ها هنا الركوع فيكون مدرك الإمام راعياً مدركاً لتلك الركعة. وأما الرواية الثانية فإن ظاهر الحديث بل صريحه أن المؤتم إذا وصل والإمام راعع وكبر وركع قبل أن يقيم الإمام صلبه فقد صار مدركاً لتلك الركعة (عون المعبود - العظيم آبادي ١٠٢/٣).

وأجابوا عن ذلك: بأن فيه حمل الركعة الواردة في الحديث على الركوع، وهذا لا يصح لأن مسمى الركعة جميع أركانها وأدكارها حقيقة شرعية وعرفية، وهما مقدمتان على اللغوية، فإطلاق الركعة على الركوع وما بعده مجاز لا يُصار إليه إلا لتقريته كما وقع عند

مسلم من حديث البراء: «فوجدت قيامه فركعته فاعتداله فسجدته». فإن وقوع الركعة في مقابل القيام والاعتدال والسجود قرينة تدل على أن المراد بها الركوع. وما نحن فيه ليس فيه قرينة تصرفه إلى الركوع. (تحفة الأحمدي - المباركفوري ١٦٤/٣، نيل الأوطار ٢٣٩/٢).

ويمكن الجواب عنه: بأن في الحديث ما يدل على أن المراد الركوع وهو قوله قبل أن يقيم الإمام صلبه. قال الشوكاني: فإن قلت: فأى فائدة على هذا في التقييد بقوله (قبل أن يقيم صلبه)؟ قلت: دفع توهم أن من دخل مع الإمام ثم قرأ الفاتحة وركع الإمام قبل فراغه منها غير مدرك. (نيل الأوطار ٢٣٩/٢).

الدليل الثالث: الأثر عن الصحابة - رضوان الله عليهم - منها:

ما روي أن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: من لم يدرك الإمام راعياً لم يدرك تلك الركعة. قال الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٢٦٢/٢: وهذا إسناد صحيح.

وفي الباب عن زيد بن ثابت وابن عمر أيضاً. ونوقش: بأنه قد ورد عن غيرهم خلاف ذلك فقد صح موقوفاً عن أبي هريرة قال: إذا أدركت القوم ركوعاً لم تعد بتلك الركعة. قال الحافظ: وهذا هو المعروف عن أبي هريرة موقوفاً.

قال ابن حزم: «فإذا تنازع الصاحبان فالواجب الرجوع إلى ما قاله الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ولا يحل الرد إلى سوى ذلك؛ فليس قول أحد حجة على الآخر؛ لكن قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الحجة على كل إنس وجن». (المحلى لابن حزم ٢٩٠/٢).

القول الثاني: أن من أدرك إمامه راعياً فكبر ووقف حتى رفع الإمام رأسه من الركوع فقد أدرك الركعة، وعليه أن يركع بعد ذلك، وهذا قول محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وزهر ابن الهذيل، والليث بن سعد. (التمهيد - ابن عبد البر ٧٣/٧).

واستدلوا: بأنه أدرك الإمام فيما له حكم القيام بدليل جواز تكبيرات العيدين فيه، فصار كما لو كبر الإمام قائماً فركع ولم يركع المؤتم معه حتى رفع رأسه. (تبيين الحقائق ٣٧٧/٢).

ونوقش: بأن الشرط هو مشاركة الإمام في أفعال الصلاة ولم توجد لا في القيام ولا في الركوع بخلاف ما استشهد به فإنه شاركه في القيام. (تبيين الحقائق ٣٧٨/٢).

الأولى فقد فاتته وقفة وركوع ورفع وسجدة وجلوس، وأن من أدرك الجلسة بين السجدين فقد فاتته الوقفة والركوع والرفع وسجدة، وأن من أدرك الرفع فقد فاتته الوقفة والركوع، وأن من أدرك السجدين فقد فاتته الوقفة والركوع وأن من أدرك الركوع فقد فاتته الوقفة وقراءة أم القرآن، وكلاهما فرض لا تتم الصلاة إلا به. (المحلى ٢/٣٨٨).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا». رواد البخاري وجه الاستدلال: أن المأموم المسبوق إذا وجد الإمام في الركوع فقد فاتته القيام والقراءة فيجب إتمامها وإنما يكون ذلك بعد سلام الإمام فيقضي ركعة. (المحلى ٢/٣٩٩).

ورد: بأنه لا يخلو من أن تكون (ما) في الحديث عامة على أصل وضعها، شاملة لجميع ما في الصلاة، أو مخصوصة، والأول باطل؛ إذ يلزم منه قضاء فائت الثناء والتوجه، ونحو ذلك من الأدعية الواردة، وفائت السورة، وإن أدرك الفاتحة وغيرها من الأركان. والثاني مضر له، فإنه كما خصص اللفظ العام بالأركان والشرائط بدلائل آخر، فليخصص بما سوى الفاتحة بدلائل آخر، وهي النصوص التي تدل على إدراك الركعة بالركوع وسقوط الفاتحة عنه.

ورد بأن المصلي مأمور بنص كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقضاء ما سبقه وإتمام ما فاتته: فلا يجوز تخصيص شيء من ذلك بغير نص آخر؛ ولا سبيل إلى وجوده. (المحلى ٢/٣٩٠).

وبعد أن عرضنا لأهم الأدلة التي احتج بها كل فريق والرد عليها؛ يتبين لنا قوة أدلة الفريق الأول (الجمهور)، والثالث (مذهب البخاري وغيره)، والله تعالى أعلى وأعلم.

وبهذا تكون قد انتهينا من الحديث عن ركن الركوع وما يتعلق به من أحكام، وأهمها أن الركوع ركن من أركان الصلاة، لا تصح إلا به، وأنه لا يعتد به إلا مع الاطمئنان فيه، وأن التسبيح والذكر في الركوع سنة على القول الراجح من أقوال أهل العلم، وأن هناك أذكار واردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الركوع أفضلها هو التسبيح، وكلها مجزئة، وكذلك وضحنا أن الدعاء جائز في الركوع ولا كراهة فيه.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قلت: وهذا الرأي ليس معه من النصوص ما يدعمه. القول الثالث: أن من أدرك القوم ركوعاً لم يعتد بتلك الركعة، وينسب هذا القول إلى الإمام البخاري وابن خزيمة، وحكاه الرافعي عنه، وعن أبي بكر الصبغى، وغيرهما من محدثي الشافعية وقواه تقي الدين السبكي من المتأخرين والعراقي وابن حزم. (تحفة الأحوذى - المباركفوري ٣/١٦٤).

قلت: وقال به الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - من علماء أنصار السنة المعاصرين وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء. (فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ١/٤١٥).

واستدلوا بما يلي:

الدليل الأول: أن القيام ركن من أركان الصلاة لقوله تعالى: «وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَائِتِينَ»، وكذلك الفاتحة لحديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، والحديث متفق عليه. وما في معنى الحديث من الأحاديث الدالة على وجوب قراءة الفاتحة في حق المأموم.

وجه الاستدلال: أن من أدرك الإمام في الركوع لم يدرك الركعة؛ لأنه لم يدرك القيام ولم يقرأ الفاتحة فلا بد من قضائهما. (المحلى ٢/٣٨٧).

ونوقش: بأنه يأتي بتكبيرة الإحرام وهو قائم ثم يركع فيكون قد أتى بركن القيام.

وأجيب: بأن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم لم يأمر الداخل في الصلاة أن يدخل في غير الحال التي يجد الإمام عليها، وأيضاً لا يجزئ قضاء شيء سبق به من الصلاة إلا بعد سلام الإمام، لا قبل ذلك. (المحلى لابن حزم: ٢/٣٩٠).

ورد: بأن الآية عامة وكذا الحديث وقد خصصا بحديث أبي بكر - رضي الله عنه - فإنه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم في الركوع ولم يأمره بالإعادة ولو كانت ركعته لا تصح لأمره أن يعيد؛ لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز. (عون المعبود - العظيم آبادي ٣/١٠٣).

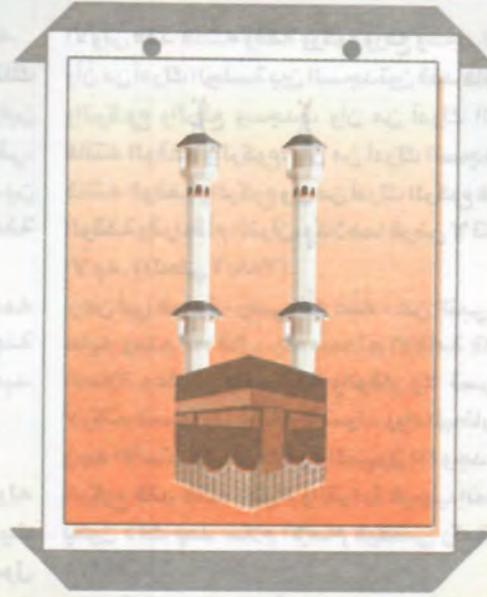
الدليل الثاني: روى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انتوا الصلاة وعليكم السكينة فصلوا ما أدركتم، واقضوا ما سبقكم» أخرجه مسلم.

وجه الاستدلال: أن من أدرك الإمام في أول الركعة الثانية فقد فاتته الأولى كلها، وأن من أدرك سجدة من

باب العقيدة

السنة ودورها في مسائل الاعتقاد

د. عبد الله شاکر / إعداد



التواتر في اللغة: هو التتابع. أما الخبر المتواتر في اصطلاح الأصوليين: فقد اختلفت عبارات الأصوليين في تعريف الخبر المتواتر، وإن كانت متفقة في المعنى، وهذه بعض تعريفاتهم:

يقول ابن الحاجب- رحمه الله- معرفًا الخبر المتواتر بأنه: «خبر جماعة مفيد بنفسه العلم بصدقه».

وقال الأمدى: «والحق أن المتواتر في اصطلاح المتشركة عبارة عن خبر جماعة مفيد بنفسه العلم بمخبره».

فكل منهما قيده بكونه «خبر جماعة»: احترازًا من الخبر الواحد: ويكونه «مفيدًا بنفسه العلم»: احترازًا من خبر جماعة لا يفيد العلم بنفسه، وإنما أفاد العلم بغير نفسه، كالخبر المحتفي بالقرائن أو بغير القرائن.

تعريف الخبر المتواتر عند أهل

الحديث:

ذكر ابن الصلاح رحمه الله: أن أهل الحديث لا يذكرونه باسمه الخاص المشعر بمعناه الخاص، وإن كان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

ويعد فقد ذكرنا في العدد الماضي أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للعقيدة، ومنه ينهل المسلم ويتعلم أصول عقيدته، يليه السنة النبوية الصحيحة، التي تبين مجمله، وتفسر مبهمه، وتوضح مشكله، وتخصص عامه، وتقيد مطلقه، وهي المنبع الثاني التي يستقي المسلم منها عقيدته الصافية.

وحيث إننا قد استفضنا في إيضاح مكانة السنة النبوية في افتتاحية هذا العدد، فإننا -

منعًا للتكرار- نتناول في هذا العدد

دور السنة النبوية في إيضاح

مسائل العقيدة، فنقول

وبالله تعالى التوفيق،

أقسام الخبر باعتبار عدد

رواته وما يفيد كل قسم:

ويشتمل على النقاط

التالية:

أ- أقسام الخبر باعتبار عدد

رواته:

ينقسم الخبر باعتبار عدد رواته

إلى: متواتر وأحاد.

القسم الأول: الخبر المتواتر،

الخبر المتواتر

ما يخبر به القوم الذين

يبلغ عددهم حدًا، يعلم عند

مشاهدتهم بمستقر العادة

أن اتفاق الكذب منهم محال،

وأن التواطؤ منهم فيه

مقدار الوقت الذي انتشر

الخبر عنهم فيه متعذر،

إذ لا واسطة بين المتواتر والآحاد.

ب- ما يفيده كل قسم:

أولاً: ما يفيده الخبر المتواتر:

ذكر أهل العلم أقوالاً في نوع العلم الحاصل من الخبر المتواتر:

القول الأول: أن الخبر المتواتر يفيده العلم النظري، وهو ما كان عن نظر واستدلال، وهذا منقول عن الكعبي وأبي الحسين البصري.

القول الثاني: أنه يفيده العلم الضروري، وهو الذي يضطر الإنسان إليه؛ بحيث لا يمكنه دفعه، وهذا هو المعتمد، وبه قال الجمهور، يعني: أن الجمهور ذهبوا إلى أن الخبر المتواتر يفيده العلم الضروري.

ثانياً: ما يفيده الخبر الواحد:

ذهب الإمام أحمد- رحمه الله- في إحدى الروايتين عنه: إلى أن خبر الواحد العدل يفيده القطع إذا صح، واختار ذلك جماعة من أصحابه، منهم: ابن أبي موسى وغيره، ونصر ذلك القاضي في (الكفاية) واختار هذا القول الحارث المحاسبي، وهو قول جمهور أهل الظاهر، وجمهور أهل الحديث.

قال ابن حزم- رحمه الله-: وقد يضطر خبر الواحد إلى العلم بصحته، إلا أن اضطرابه ليس بمضطر ولا في كل وقت، ولكن على قدر ما يتهيأ، فهذا قسم. والقسم الثاني من الأخبار: ما نقله

الواحد عن الواحد، فهذا اتصل برواية العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب العمل به، ووجب العلم بصحته أيضاً، وقال

ابن القيم- رحمه الله- «فمن نص على أن خبر الواحد يفيده العلم؛ مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة؛ وداود بن علي وأصحابه؛ كابي محمد بن حزم، ونص عليه الحسين بن علي الكرابيسي، والحارث بن أسد المحاسبي».

قال ابن القيم- رحمه الله-:

«وصرحت الحنفية في كتبهم بأن

الخبر المستفيض يوجب العلم،

ومتلوه بقول النبي صلى الله عليه

وسلم: «لا وصية لوارث» قالوا: ومع أنه إنما

الحافظ الخطيب قد ذكره؛ ففي كلامه ما يشعر بأنه اتبع فيه غير أهل الحديث، ولعل ذلك لكونه لا تشمله صناعتهم، ولا يكاد يوجد في رواياتهم، فإنه عبارة عن الخبر الذي ينقله من يحصل العلم بصدقه ضرورة، ولا بد في إسناده من استمرار هذا الشرط في روايته من أوله إلى منتهاه.

ولعل ما ذكره ابن الصلاح من عدم ذكر أهل الحديث لتعريفه خاص بالقدماء منهم؛ لأن متأخريهم يعرفونه بما يتفق مع تعريف أهل الأصول، وإن لم يفضلوا فيه القول مثل أهل الأصول.

وما أشار إليه من تعريف الحافظ الخطيب له، فهو قوله: «فأما الخبر المتواتر فهو: ما يخبر به القوم الذين يبلغ عددهم حداً، يعلم عند مشاهدتهم بمستقر العادة أن اتفاق الكذب منهم محال، وأن التواطؤ منهم في مقدار الوقت الذي انتشر الخبر عنهم فيه متعذر، وأن ما أخبروا عنه لا يجوز دخول اللبس والشبهة في مثله، وأن أسباب القهر والغلبة والأمور الداعية إلى الكذب منتفية عنهم؛ فمتى تواتر الخبر عن قوم هذه سبيلهم قطع على صدقه، وأوجب وقوع العلم ضرورة».

القسم الثاني: خبر الآحاد:

الآحاد: جمع أحد. وهو بمعنى الواحد، وهمزة «أحد» مبدلة من واو، فأصلها «وحد»، وربما جاءت على الأصل كما في قول نابغة ذبيان:

كان رحلي وقد زان النهار بنا
لذي الجليل على مستأنس
وحد

ويجمع الواحد على «أحدان»، والأصل وحادان، فقلبت الواو همزة لانضمامها.

وعرف خبر الآحاد بأنه:

«الخبر الذي لم ينته إلى حد

التواتر، ولم يقصر عن درجة

الاحتجاج، وإن روته جماعة»؛ وعليه

فالشهور- أي الحديث المشهور- من خبر الآحاد:

خبر الآحاد هو

الخبر الذي لم ينته إلى

حد التواتر، ولم يقصر عن

درجة الاحتجاج، وإن روته

جماعة وعليه فالحديث

المشهور من خبر الآحاد،

إذ لا واسطة بين المتواتر

والآحاد.

روى من طريق الأحاد. قالوا: ونحوه ابن مسعود في المتبايعين إذا اختلفا. إن القول قول البائع أو يترادان. قالوا: ونحوه حديث عبد الرحمن بن عوف في أخذ الجزية من المجوس. قالوا: وكذلك حديث المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة في إعطاء الجدة السدس. وجوب الأخذ بأحاديث الأحاد في العقيدة. والعمل بالصحيح فقط:

ويشتمل على النقاط التالية:

أ- وجوب الأخذ بأحاديث الأحاد في العقيدة، لما اختلف العلماء - رحمهم الله تبارك وتعالى - في إفاضة خبر الواحد للعلم أو عدم إفاذته العلم. كان لهذا الاختلاف أثر في: هل يؤخذ بأحاديث الأحاد في العقيدة والأحكام. أو يعمل بخبر الواحد في الأحكام فقط دون العقائد؟ فالذين قالوا: بأن خبر الواحد العدل إنما يفيده الظن. قالوا: يحتج به في الأحكام دون العقائد؛ لأن الأحاد لا تفيد اليقين. والعقائد لا بد فيها من اليقين. وما ذكره من التفريق بين ما يقبل فيه خبر الواحد وما لا يقبل فيه يعترض عليه بما يأتي.

الأول: أننا يمكننا أن نطالبهم بضيق صحيح بين ما يجوز إثباته بخبر الواحد العدل من الدين وبين ما لا يجوز إثباته.

الثاني: أن القائلين بإفاذته للعلم والقائلين بإفاذته للظن اتفقوا على نقل إجماع الصحابة

والتابعين على العمل به، ولم يرد عن أحد منهم أن أحداً من الصحابة

منع الاستدلال بخبر الواحد في العقائد؛ لكونه لا يفيد إلا الظن، وأن العقائد لا يحتج فيها إلا بما يفيد القطع. بل الوارد عنهم قبول الخبر متى صح مطلقاً، وتخصيص ذلك بالأحكام دون العقائد يحتاج إلى دليل من كتاب أو سنة أو إجماع تطعي.

الثالث: ما تواتر من إرسال رسول الله

صلى الله عليه وسلم رسله وسعته إلى الآفاق والملوك المجاورين لجزيرة العرب والقبائل كذلك:

لتبليغ الرسالة وتعليم الأحكام، وحل العهود وتقريرها، وقبض الزكوات وفصل الخصومات ونحو ذلك. فمن ذلك: أنه صلى الله عليه وسلم بعث دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل عظيم بصرى. وبعث عبد الله بن حذافة السهمي بكتابه إلى كسرى. وعمرو بن أمية الضمري إلى الحبشة، وعثمان بن العاص إلى الطائف، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الفسائي بدمشق. وسليطة بن عمرو العامري إلى هودبة بن خليفة باليمامة.

ولم يبعث هؤلاء إلا ليقوم بهم الرحمة على من بعثوا إليهم، ومن المعلوم: أن أهم ما بعث به هؤلاء هو الدعوة إلى التوحيد. وقد ثبت باتفاق أهل السير، أنه صلى الله عليه وسلم كان يلزم من بعث إليهم رسله بقبول قول رسله وحكامه وسعته. ولو احتاج في كل رسالة إلى إرسال عدد التواتر؛ لم يفت بذلك جميع أصحابه، ولخلت دار هجرته صلى الله عليه وسلم من أنصاره، وتمكن منه أعداؤه، وفسد النظام والتدبير. وهذا أمر باطل لا شك في بطلانه؛ فتبين مما ذكر أن خبر الواحد حجة توجب العمل كخبر التواتر؛ فكما يجب العمل بخبر التواتر في كل ما دل عليه، سواء كان في الأحكام أم العقائد. فكذلك أيضاً ما دل عليه خبر الواحد العدل.

فإن قيل: إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث رسله وسعته لتعليم الأحكام وجباية الزكاة وتوزيعها فحسب، دون الدعوة إلى التوحيد أجيب عنه؛ بأنه ورد التصريح في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى الملوك بالدعوة إلى التوحيد.

فمن ذلك: ما أخرجه البخاري عن ابن عباس؛ «أنه قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى نحو أهل اليمن، قال له: «إنك

تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن

أول ما تدعوهم أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك؛ فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات

لقد اتفق أهل العلم على نقل إجماع الصحابة والتابعين على العمل بخبر الواحد متى صح عن رسول الله وذلك على السواء في العقائد والأحكام.

في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا؛ فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم؛ فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس».

وهذا الحديث نص في محل النزاع؛ لأنه يبين بوضوح أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر معاذًا أن يبدأ أهل اليمن في دعوتهم إلى الله بتوحيد الله- تبارك وتعالى-.

الرابع: أن القائلين بأنه لا يحتج به في العقائد، ثبت عنه قبول ما ورد منه في عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، ورؤية المؤمنين لله بالأبصار يوم القيامة، وما ورد في نعيم الجنة وعذاب النار، والحوض، والصراط، وغيرها.

واليك بعض أقوال أهل الكلام الذين قالوا بأنه لا يحتج بحديث الأحاد في العقائد، وقد ذكروا مع قولهم هذا واستدلوا وآمنوا وصدقوا بما ورد في أحاديث الأحاد مما جاء في عذاب القبر وسؤال منكر ونكير وغير ذلك.

قال السرخسي- رحمه الله-: ثم قد ثبت بالأحاد من الأخبار ما يكون الحكم فيه العلم فقط، نحو عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، ورؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة؛ فهذا ونحوه يتبين أن خبر الواحد موجب للعلم، وذكر سعد الدين التفتازاني- رحمه الله-: أن خبر الواحد في أحكام الآخرة من عذاب القبر وتفاصيل الحشر والصراط والحساب والعقاب وغيرهم، مقبول بالإجماع.

وقال البيهقي- رحمه الله-: فأما الأحاد في أحكام الآخرة، فمن ذلك ما هو مشهور، ومن ذلك ما هو دونه، لكنه يوجب ضرباً من العلم على ما قلنا، وفيه ضرب من العمل أيضاً، وهو عقد القلب عليه، ثم اعترفوا به هنا من قبول ما ورد في أحكام الآخرة وغيرها، وهذا يلزمهم قبول ما ورد منها في العقائد؛ لأنه لا يخرج عن عقد القلب؛ ولذا اتفق السلف على نقل أخبار الصفات وليس فيها عمل، وإنما فاندتها وجوب تصديقها، واعتقاد ما فيها؛ ولأن اتفاق الأمة على قبولها إجماع منهم على صحتها، والإجماع حجة قاطعة.

قال الشوكاني- رحمه الله-: ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه؛ فإنه يفيد العلم؛ لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه.

ب- وجوب الاقتصار على الحديث الصحيح دون الضعيف:
سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويندرج فيها الأحاديث الحسنة التي لم تبلغ رتبة الصحيح، ولذلك ينبغي التوثيق والتثبت من صحة الحديث، وقبوله عند الاستشهاد به، والاحتجاج في قضايا الاعتقاد؛ لأن العقيدة لا تبني على الأحاديث الضعيفة، بل لا تقوم إلا بما صح به الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون هذا الحديث الصحيح متواتراً قطعي الثبوت، وقد يكون حديثاً مشهوراً مستفيضاً يأخذ حكم المتواتر، وقد يكون حديثاً واحداً، وكلها في أصل الاحتجاج بها سواء عند صحتها، ينبغي الخضوع لها، وقبولها على الرأس والعين، دون تمحل ولا تكلف، ودون التماس الأعداء لردّها، وعدم العمل بها؛ فإن جميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق.

وإنما ينبغي بعد ذلك النظر في المنهج الصحيح في الفهم والاستدلال، وإعمال قواعد الاستنباط وضوابط الترجيح عند التعاضد مثلاً،

أما الأخذ بالحديث الصحيح-

وهذا هو الواجب- سواء كان متواتراً أم أحاداً بشرط أن يكون صحيحاً. وأما الأحاديث الضعيفة والموضوعة المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الاحتجاج بها، ولا تجوز روايتها أصلاً، إلا لبيان حالها، وإنما ينبغي الإعراض عنها؛ لأن العقيدة لا تثبت بالأحاديث الضعيفة.

فضلاً عن الموضوعية.

وللحديث بقية إن شاء الله.

سنة النبي صلى

الله عليه وسلم هي

الأحاديث الصحيحة الثابتة عن

النبي صلى الله عليه وسلم

ويندرج فيها الأحاديث الحسنة

التي لم تبلغ رتبة الصحيح

ولذلك ينبغي التوثيق والتثبت

من صحة الحديث وقبوله عند

الاستشهاد به والاحتجاج

فيه قضايا الاعتقاد.

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وبعد:**

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من
الأمثال في القرآن، وهو من سورة الأنعام
الآيتان الثانية والعشرون بعد المائة والثالثة
والعشرون بعد المائة، وهما: قال الله تعالى:
**أَوْمن كان ميثا فأحيينه وجعلنا له نورا يمشي
بوه في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج
ينها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون
(١٢٣) وكذلك جعلنا في كل قرية أكبر مجرميها
يسكروا فيها وما يذكرون إلا بأنفسهم وما
يشعرون، [الأنعام: ١٢٢-١٢٣].**

الوهنى الإجمالي

قال ابن كثير رحمه الله ٢/٢٣٢: «هذا مثل
ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميثا، أي
في الضلالة هالكا حائرا، فأحياء الله أي أحيا
قلبه بالإيمان، وهداه له ووفقه لاتباع رسله..
وقال النيسابوري في «غرائب القرآن»
(١٥٦/٣): «إنه سبحانه بعد أن ذكر أن
المشركين يجادلون المؤمنين ضرب مثلا
للضريقين فبين أن المؤمن المهتدي بمنزلة من
كان ميثا فجعله الله حيا وأعطاه نورا يهتدي
به في مصالجه، وأن الكافر بمنزلة من هو
في الظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها
فيكون متحيرا على الدوام..»

الوهنى التفصيلي:

الواو في قوله: «أومن كان ميثا» عاطفة لجملة
الاستفهام على جملة «وإن أطعموهم إنكم
لمشركون» لتضمن قوله: «وإن أطعموهم» أن
المجادلة المذكورة من قبل مجادلة في الدين
بتحسين أحوال أهل الشرك وتقبيح أحكام
الإسلام التي منها تحريم الميتة، وتحريم
ما ذكر اسم غير الله عليه، فلما حذر الله
المسلمين من دسائس أولياء الشياطين
ومجادلتهم بقوله: «وإن أطعموهم إنكم
لمشركون» أعقب ذلك بتفضيع حال المشركين،
ووصف حسن حالة المسلمين حين فارقوا
الشرك، فجاء بتمثيلين للحالتين، ونفى
مساواة إحداهما للأخرى: تنبيهها على سوء
أحوال أهل الشرك وحسن حال أهل الإسلام.

دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

مثل الذي

هداه الله

من بعد

الضلالة

مصطفى البصراطي

بعضهم: أما الذي كان ميتا فأحياه الله، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه. وأما الذي مثله في الظلمات ليس بخارج منها، فأبو جهل بن هشام. اهـ.

وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» ٤٥/٥: والمراد بالظلمات، ظلمة القبر لمناسبتة للميت، وبقرينة ظاهرة «في الظلمات» من حقيقة الظرفية وظاهر حقيقة فعل الخروج.

ولقد جاء التشبيه بديعاً إذ جعل حال المسلم، بعد أن صار إلى الإسلام، بحال من كان عديم الخير، عديم الإفادة كالميت، فإن الشرك يحول دون التمييز بين الحق والباطل، ويصرف صاحبه عن السعي إلى ما فيه خيره ونجاته، وهو في ظلمات لو أفاق لم يعرف أين ينصرف، فإذا هداه الله إلى الإسلام تغير حاله فصار يميز بين الحق والباطل ويعلم الصالح من الفاسد، فصار كالحي وصار يسعى إلى ما فيه صلاحه، ويتنكب عن سبيل الفساد، فصار نوراً يمشي به في الناس.

وقد تبين بهذا التمثيل تفصيل أهل استقامة العقول على أصدادهم.

وجملة «ليس بخارج منها» حال من الضمير المجرور بإضافة «مثل» أي ظلمات لا يرجى للواقع فيها تنور بنور ما دام في حالة الإشراك. وجملة «كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون» استئناف بياني، لأن التمثيل المذكور قبلها يثير في نفس السامع سؤالاً، أن يقول: كيف رضوا لأنفسهم البقاء في هذه الضلالات، وكيف لم يشعروا بالتوبة بين حالهم وحال الذين أسلموا، فإذا كانوا قبل مجيء الإسلام في غفلة عن انحطاط حالهم في اعتقادهم وأعمالهم، فكيف لما دعاهم الإسلام إلى الحق ونصب لهم الأدلة والبراهين، بقوا في ضلالهم لم يقلعوا عنه، وهم أهل العقول فطنة، فكان حقيقة بأن يبين له السبب في دوامهم على الضلال، وهو أن ما عملوه كانت تزينة لهم الشياطين، هذا التزيين العجيب، الذي لو أراد أحد تقريره لم يجد ضلالاً مزيناً أوضح منه وأعجب فلا يشبه ضلالهم إلا بنفسه على حد قولهم: «والسفاهة كاسمها».

والهمزة للاستفهام المستعمل في إنكار تماثل الحاليتين؛ فالحالة الأولى حالة الذين أسلموا بعد أن كانوا مشركين، وهي المشبهة بحال من كان ميتاً مودعاً في ظلمات فصار حياً في نور واضح، وسار في الطريق الموصلة للمطلوب بين الناس.

والحالة الثانية حالة المشرك وهي المشبهة بحالة من هو في الظلمات ليس بخارج منها؛ لأنه في ظلمات. [التحرير والتنوير لابن عاشور ٤٣/٥].

وقوله: «وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس» النور عبارة عن الهداية والإيمان، وقيل هو القرآن وقيل الحكمة، وقيل هو النور المذكور في قوله تعالى: «سَعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَنْفُسِهِمْ» [التحرير: ١٢]. وقيل: المراد به اليقين، «يمشي» أي: يستضيء به في الناس، ويهتدي إلى قصد السبيل، والضمير في (به) راجع إلى النور «كمن مثله» أي صفته «في الظلمات» أي: لا يستويان. وقيل: «مثل» زائدة، والمعنى كمن في الظلمات كما تقول أنا أكرم من مثلك، أي منك، ومثله: «فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ» [المائدة: ٩٥]. **وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ شَقِيحٌ** [الشورى: ١١]. وقيل: المعنى كمن مثله مثل من هو في الظلمات، والمعنى كمن هو خابط في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة.

وقوله: «كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها»:

قال ابن جرير الطبري ٣٠/٨: «كمن مثله في الظلمات... لا يدري كيف يتوجه، وأي طريق يأخذ؛ لشدة ظلمة الليل وإضلاله الطريق. فكذلك هذا الكافر الضال في ظلمات الكفر، لا يبصر رشداً ولا يعرف حقاً، يعني في ظلمات الكفر. يقول: أفضاعة هذا الذي هديناه للحق وبصرفناه الرشاد، كضاعة من مثله مثل من هو في الظلمات متردد، لا يعرف المخرج منها في دعاء، هذا إلى تحريم ما حرم الله، وتحليل ما أحل، وتحليل هذا ما حرم الله، وتحريمه ما أحل؟

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجلين بأعيانها معروفين: أحدهما مؤمن، والآخر كافر، ثم اختلف أهل التأويل فيهما، فقال

قوله تعالى «كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»، قال ابن جرير الطبري (٣٢/٨): يقول تعالى ذكره ما معناه: كما خذلت هذا الكافر الذي يجادلکم أيها المؤمنون بالله ورسوله، في أكل ما حرمت عليكم من المطاعم عن الحق، فزينت له سوء عمله فراه حسناً، ليستحق به ما أعددت له من أليم العقاب، كذلك زينت لغيره ممن كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته، ما كانوا يعملون من معاصي الله، ليستوجبوا بذلك من فعلهم، ما لهم عند ربهم من النكال.

وفي هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوّض الأمور إلى خلقه في أعمالهم، فلا صنع له في أفعالهم، وأنه قد سوى بين جميعهم في الأسباب التي بها يصلون إلى الطاعة والمعصية. لأن ذلك لو كان كما قالوا، لكان قد زين لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر، نظير ما زين من ذلك لأعدائه وأهل الكفر به، وزين لأهل الكفر به من الإيمان به، نظير الذي زين منه لأنبيائه وأوليائه. وفي إخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عامل منهم عمله، ما ينبئ عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان، وخص أعداءه وأهل الكفر، بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان، وكره إليهم الإيمان به والطاعة. انتهى.

قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرِمِيهَا لِيَتَّكِرُوا فِيهَا وَمَا يَتَّكِرُونَ إِلَّا أَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) [الأنعام: ١٢٢] عطف على جملة: «كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون»، فلها حكم الاستئناف البياني، لبيان سبب آخر من أسباب استمرار المشركين على ضلالهم، وذلك هو مكر أكابر قريتهم بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين وصرفهم الحيل لصد الدهماء عن متابعة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشار إليه بقوله: «وكذلك، أولياء الشياطين يتأويل، كذلك، المذكور.

والعنى: ومثل هذا الجعل الذي جعلنا لمشركي مكة جعلنا في كل قرية مضت أكابر يصدون عن الخير، فشبّه أكابر المجرمين من أهل مكة في الشرك بأكابر المجرمين في أهل

القرى في الأمم الأخرى، أي أن أمر هؤلاء ليس ببدع ولا خاص بأعداء هذا الدين، فإنه سنة المجرمين مع الرسل الأولين. [التحرير والتنوير ١٨٧/٥].

(وكذلك) أي مثل ذلك الجعل بمكة (جعلنا في كل قرية أكابر) الأكابر جمع أكبر قيل هم الرؤساء والعظماء وخصهم بالذكر لأنهم أقدر على الفساد والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم، وإنما حصل ذلك لأجل رياستهم، وذلك سنة الله أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءها وجعل فساقها أكابر (مجرميها)، قال الواحدي في الآية تقديم وتأخير أي مجرميها أكابر، وإنما جعل المجرمين أكابر لأن ما فيهم من السعة أدعى لهم إلى المكر والكفر.

(ليمكروا فيها) بالصد عن الإيمان، واللام على ظاهرها أو للعاقبة أو للعلّة مجازاً، قال أبو عبيدة: المكر: الخديعة والغدر والحيلة والفضور، وزاد بعضهم الغيبة والنميمة والإيمان الكاذبة وترويج الباطل، قال ابن عباس: ليقولوا فيها الكذب، عن عكرمة قال: نزلت في المستهزئين، وقيل المعنى ليتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالمعاصي، دليله (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرِمِيهَا لِيَتَّكِرُوا فِيهَا وَمَا يَشْعُرُونَ) [الشورى: ٢٧]. انتهى من فتح البيان.

قوله تعالى: «وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ»، قال ابن كثير (٢٣٣/٢): أي: وما يعود وبال مكرهم ذلك وإضلالهم من أضلوه إلا على أنفسهم، كم قال تعالى: «وَلِيَجْزِيَنَّهُمْ أَثْقَالَهُمْ وَأَنفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ» [العنكبوت: ١٣]، وقال «وَمَنْ أُوْزِرَ أَلَدًا كَثِيرًا يَعْثُرْ عَلَى الْآسَاءِ مَا يَحْسَبُهُ يَوْمَئِذٍ كَبِيرًا» [النحل: ٢٥].

وقوله تعالى: «وما يشعرون» أي ما يعلمون وهي لفظة مأخوذة من الشعار وهو الشيء الذي يلي البدن فكان الذي لا يشعر نضى عنه أن يعلم علم حس وفي ذلك مبالغة في صفة جهله إذ البهائم تعلم علوم الحس وأما هذه الآية فإنما نضى فيها الشعور في نازلة مخصوصة. (المحرر الوجيز لابن عطية ٣/٤٥٤).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فتاوى

فتاوى الشيخ ابن باز، واللجنة الدائمة

سورة الفلق في ابن كثير، أرجو توضيح الصواب.

فأجابت: لا يجوز حل السحر بسحر مثله. وينبغي لمن أصيب بسحر أن يتعالج بالأدوية الشرعية من الرقية بالقرآن واستعمال الأدوية والعقاقير المباحة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «تداووا، ولا تتداووا بحرام، فإن الله ما أنزل داء إلا أنزل له دواء».

وكذلك له أن يفكه باستخراج ما سحر فيه؛ كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، إذا عرف مكانه.

مبادئ الاقتصاد الإسلامي

س: على ماذا يقوم الاقتصاد الإسلامي؟

ج: يقوم الاقتصاد الإسلامي على المتاجرة الشرعية، باستثمار الأموال فيما أحله الله تعالى، وفق قواعد وضوابط المعاملات الشرعية، المبنية على أصل الإباحة والحل في المعاملات واجتناب كل ما حرمه الله منها كالربا، قال الله تعالى: «وأحل الله البيع وحرم الربا» (البقرة: ٢٧٥). وقال تعالى: «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون» (الجمعة: ١٠).

من حلف في البيع والشراء صادقاً

س: هل يجوز الحلف في البيع والشراء إذا كان صاحبه صادقاً؟

ج: الحلف في البيع والشراء مكروه مطلقاً، سواء كان كاذباً أو صادقاً، فإن كان كاذباً في حلفه فهو مكروه كراهة تحريم، وذنبه أعظم وعذابه أشد، وهي اليمين الكاذبة، وهي وإن كانت سبباً لرواج السلعة، فهي تمحق بركة البيع والريح، ويدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت

حكم الذهب للسحرة

سئل سماحة الشيخ ابن باز: ما حكم الذهب للسحرة والكهنة بقصد العلاج، إذا كان مضطراً إلى ذلك؟

فأجاب: لا يجوز الذهاب إلى الكهان والسحرة والمشعوذين ولا سواهم.

بل يجب أن يُتَبَّه عليهم، ويُؤخذ على أيديهم ويمنعوا؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء؛ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»، رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم».

وسئل عن الكهان؟ فقال: «لا تأتوهم».

والكهان: يدعون علم الغيب بواسطة شياطينهم، فلا يجوز إتيان الكهان والعرافين، ولا سؤالهم عن شيء، بل يجب أن ينكر عليهم، وأن يؤدب؛ حتى لا يعود لشيء من ذلك، لكن يذهب إلى أهل الخير المعروفين بالرقية الشرعية فيرقونه.

(مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ

ابن باز: ٨/ ١٥٨).

في سؤال ورد للجنة الدائمة:

أرسلت إحدى الأخوات إلى زوجتي بسؤال، أنه لما سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينكح السحر عنه إلا عندما جاءه جبريل عليه السلام، وأخبره بما كان، كما هو ثابت وصحيح إذا لما أحد يعمل له عمل يجوز أن يفكه (هذا كلام الأخت السائلة). وتقول: إن هذا هو الذي فهمته عند قراءتها لتفسير

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وهذا لفظ البخاري، ولما ورد عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال: فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب. أخرجه مسلم (١٠٢/١).

أما إن كان الحلف في البيع والشراء صادقا فيما حلف عليه، فإن حلفه مكروه كراهة تنزيه؛ لأن في ذلك ترويجا للسلعة، وترغيبا فيها بكثرة الحلف، وقد قال الله تعالى: سورة آل عمران الآية ٧٧ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ولعموم قول الله تعالى: «واحفظوا أيمانكم» (المائدة: ٨٩)، وقوله تعالى: «ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم» (البقرة: ٢٢٤) ولعموم ما رواه أبو قتادة الأنصاري السلمي، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق أخرجه مسلم في صحيحه. (فتوى رقم: ١٩٦٣٧).

حكم البيع بغير تراض

س: هل يجوز البيع بغير تراض؟

ج: لا يجوز البيع بغير تراض، قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) الآية (سورة النساء: ٢٩). إلا إذا كان ذلك بحق، كبيع الرهن من جهة المحكمة. (الفتوى رقم: ٨٨٥٩).

حكم التجارة في المحرمات وبالمال الحرام

س: والدي ماله حرام، وسيعمل

لي تجارة رأس ماله حرام، فهل يجوز لي أن أظهر تجارتي من ربح هذه التجارة، وظروفي أنني لم أحصل إلا على الشهادة الإعدادية، ولم أرغب أن أتعلم صنعة، وما حكم الإسلام في هذا؟

ج: أولا: شرع الله سبحانه التعامل بين المسلمين بالعقود المباحة، كعقد

البيع والإجارة والسلم والشركة، ونحوها من العقود المشروعة؛ لما فيها من المصلحة للعباد. ثانيا: حرم الله بعض العقود لما فيها من المضار، كعقد الربا، والتأمين التجاري، وبعض البيوع المحرمة، كبيع آلات اللهو، وبيع الخمر والحشيش والدخان، لما فيها من المضار المتنوعة.

فعلى المسلم أن يسلك الطرق المباحة في المعيشة والكسب، وأن يجتنب الأموال المحرمة، والطرق المتنوعة، وإذا علم الله من العبد صدق النية وعزمه على اتباع شرعه والاهتداء بسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فسوف ييسر له أمره، ويرزقه من حيث لا يحتسب، قال الله تعالى: «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ٣ ويرزقه من حيث لا يحتسب» (الطلاق: ٢، ٣)، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه بهذا تعلم أنه ليس لك أن تؤسس تجارة رأسمالها حرام، سواء كان من أهلك أو غيره. (أخرجه أحمد ٧٨/٥). (الفتوى رقم: ٥٤٣٦).

س: والدي تاجر وأنا أساعده في تجارته في الغالب، ولكن هذه التجارة تحتوي على بعض المحرمات، كالشرائط المسجلة التي يعلن فيها العداء لله علنا، وفيها من الفسق ما لا يوصف، وبيع أيضا في المحل السجائر، وهذه المحرمات مكسبها يعادل نصف ربح الدكان على الأقل، وأنا أكل من هذا الربح، وأبيعه أيضا مكرها حينما يقول لي: افعل كذا وكذا، وادعو الله أن يلهمك إعطائي المنهاج السليم لها.

ج: لا يجوز أن تتعاون مع أهلك أو غيره فيما هو محرم من بيع ما ذكرت: لقول النبي صلى الله عليه وسلم: إنما الطاعة في المعروف. (متفق عليه). وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وعليك أن تنصح والدك بالرفق والأسلوب الحسن، وأن تعتذر إليه بما ذكرنا». (متفق عليه). (الفتوى رقم: ٦١٢٥)

حكم بيع المصحف وكتب العلم

س: ما حكم الاتجار في المصاحف وأشرطة تسجيل القرآن؟
ج: يجوز الاتجار فيهما؛ لما فيه من التعاون على البر والتقوى.
وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

مسابقة فضيلة الشيخ : محمد صفوت نور الدين

يسر جماعة أنصار السنة المحمدية ، فرع بلبيس ، أن تعلن عن الحلقة الحادية عشرة من مسابقة فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين ، في القرآن والسنة والعقيدة ، وهي على النحو التالي :

المستوى الأول :

- ١- حفظ اثنين وعشرين جزءاً من أول القرآن إلى آخر سورة فاطر.
- ٢- تفسير ريعين من قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرَدُّنَّ .. » إلى قوله تعالى: « لئن لم ينته المنافقون » سورة الأحزاب
- ٣- حفظ مائة حديث من التجريد الصريح من (١٠٠١ إلى ١١٠٠) مع شرح أول عشرين حديثاً منها.
- ٤- دراسة أول ثلاثة أبواب من كتاب التوحيد.
- ٥- الاستماع إلى شريط (حفظ الله تعالى لدينه وواجبنا نحو هذا الدين) للشيخ صفوت نور الدين رحمه الله.

المستوى الثاني :

- ١- حفظ أحد عشر جزءاً من القرآن من قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا» [النمل: ٤٥] إلى آخر القرآن الكريم مع التجويد.
- ٢- تفسير ربع من قوله تعالى: « وَأَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفِتْنَةَ وَأَنْتُمْ مُبْصِرُونَ » [النمل: ٥٤]
- ٣- حفظ خمسين حديثاً من مختصر صحيح مسلم للمنذري من (٥٠١ - ٥٥٠) مع شرح أول عشرة أحاديث منها.
- ٤- دراسة أول بابين من كتاب التوحيد.
- ٥- الاستماع إلى شريط (إنها الشدائد) للشيخ صفوت نور الدين رحمه الله.

المستوى الثالث :

- ١- حفظ خمسة أجزاء من أول سورة الأحقاف إلى سورة الناس مع التجويد.
- ٢- معاني كلمات جزء عم.
- ٣- حفظ خمسة وعشرين حديثاً من كتاب

رياض الصالحين من (٣٥١ - ٣٧٥)

٤- حفظ عشرين سؤالاً وجوابهم من كتاب (٢٠٠ سؤال وجواب للشيخ حافظ حكيمي)

موعد المسابقة :

سيكون امتحان جميع المستويات بإذن الله تعالى يوم السبت ٢٠١٥/٢/٧ م. ويبدأ الامتحان من الساعة الثامنة صباحاً بمجمع التوحيد بمدينة بلبيس.

الشروط :

١- ألا يزيد عمر المتسابق في المستوى الأول عن ٤٠ عاماً ، والثاني عن ٣٠ عاماً. والثالث عن ٢٠ عاماً.

٢- يدفع المتسابق في المستوى الأول ٣٠ جنيهاً ، والثاني ٢٥ جنيهاً ، والثالث ٢٠ جنيهاً . كمصاريف إدارية في المسابقة ولا تدخل في الجوائز.

٣- يتم الامتحان في جميع المواد تحريراً للمستوى الأول والثاني ما عدا القرآن الكريم . وأما المستوى الثالث فيكون شفويًا في جميع المواد.

٤- يتم تسجيل الأسماء ودفع الاشتراكات بالمركز العام - الدور السابع - مجلة التوحيد . أو بمجمع التوحيد بمدينة بلبيس ، على أن يكون آخر موعد لتسجيل الأسماء ودفع الاشتراكات يوم الخميس ٢٠١٥/١/٢٢ م ولن تقبل أي أسماء بعد هذا الموعد .

٥- يتم تسليم نسخة تشمل منهج المسابقة لكل من يسجل اسمه .

٦- يتم إعلان النتيجة وتوزيع الجوائز في حفل كبير يقام يوم السبت ٢٠١٥/٢/٢٨ م بعد صلاة العصر بمسجد التوحيد ببلبيس .

٧- جوائز المسابقة قيمة وجائزة الفائز الأول في المستوى الأول والمستوى الثاني ، عمرة إلى بيت الله الحرام ، والله الموفق .

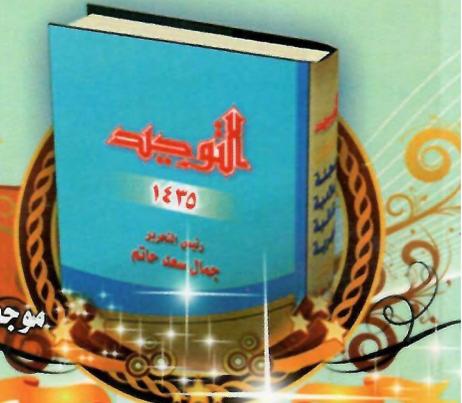
الآن مفاجأة سارة



موسوعة التوحيد ببلاش

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدِّم ؛ فقط ادفع ١٠٠ جنيهاً بعد الاستلام على ثمانية أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكَّى من الفرع .
- علماء بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير وصفحة مجلة التوحيد .

ومفاجأة أخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٥ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيهاً فقط



23936517



١٤٣٥